

ذو القعدة عشر من ألفين
رحيل المستحيل

تفتت القطار



Looloo

dvd4arab

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المختبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - مهمة رجل واحد ..

انطلق زنين الهاتف المجاور لقراش (أدهم صبرى) فجأة ، فانتزعه من سبات عميق ، وبدا له ذلك الرنين المتقطع كسيل من الرصاصات ، يخترق رأسه ، وينفذ غير خلايا مخه بلا رحمة ، فالتقط سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول في صوت خامل متكاسل ، لم يفارقه النوم بعد :

— من المتحدث ؟

تسلل إلى أذنه صوت الرائد (وحيد) ، زميله في إدارة المختبرات العامة ، وهو يقول في هدوء :

— كيف حالك يا سيادة المقدم ؟

تطلع (أدهم) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الساعة والنصف صباحاً ، وغمغم في ضجر :

— في خير حال يا (وحيد) ، على الرغم من أننى لم أستغرق في النوم سوى في السادسة صباحاً ، بعد عودتى من الإدارة ، أى أننى لم أتم سوى ساعة ونصف ساعة منذ صباح أمس .

بدا صوت (وحيد) أقرب إلى الاعتذار ، وهو يغمغم في
خجل :

— أعلم ذلك باسيادة المقدم ، ويؤسفني أن أقلقت
نومك ، ولكن سيادة اللواء المدير يريدك في مكتبه بسرعة .
كانت العبارة تكفي ليتبخر كل ذلك التكاسل والحمول
من جسد (أدهم) ، الذي امتلأ فجأة بنشاط عارم ، وهو
يفادر فراشه ، قائلاً في نبرات قوية :

— أبلغ المدير أنني في طريقى للإدارة على الفور .

حاول (وحيد) أن يكرر اعتذاره مغمغماً :

— يؤسفني مرة أخرى أن

ولكن عبارته لم تكتمل أبداً ، فقد كان (أدهم) قد وضع
سماعة الهاتف ..

* * *

كان من المستحيل على من يشاهد (أدهم) ، وهو يفادر
شقته في الثامنة إلا الثلث صباحاً ، أن يتصور تلك الحالة التي
كان عليها ، حينما تلقى مكالمة زميله (وحيد) منذ عشر دقائق
فقط ، فقد كانت الحيوية تملأ وجهه ، وتعلن عن وجودها في
كل خلية من خلاياه ، وكان يبدو شديد الوسامة بوجهه

الحليق ، وشعره الفاحم المصفف في عناية ، وتلك الخلة
السوداء الأنيقة ، التي تتأقظ مع قميصه الأبيض الناصع ،
ويخفف من تناقضهما رباط عنقه الرمادي ، الذي يشف عن
ذوق رفيع ..

ولقد زينت وجه (أدهم) ابتسامة جذابة ، زادت من
وسامته ، وهو يلتقي بجاره الأستاذ (جميل) أمام مصنع
البنية ، ويحييه قائلاً :

— صباح الخير يا أستاذ (جميل) .. إنه يوم لطيف .. اليس

كذلك ؟

حذق الأستاذ (جميل) في وجهه بدهشة واستكار ، لم
يحاول إخفاءهما ، وهو يقول :

— يوم لطيف ؟! .. إنه من أسوأ أيام فصل الشتاء على
الإطلاق .. إن درجة البرودة تصل إلى خمس عشرة درجة مئوية
على الأكثر ، والمطر ينهمر كالسيول في الخارج .. كيف يمكن
أن تصف مثل هذا اليوم بأنه يوم لطيف ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يتذكر ذلك البرد القارص ، الذي
كاد ينخر عظامه يوماً في معتقل (سيبيريا) ، حيث كانت

ولكن طبيعته الخدرة جعلته يكتفى بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— هذا من سوء حظي بالتأكيد .

أوماً الأستاذ (جميل) برأسه موافقاً ، ثم عاد يقول في فضول واضح :

— لازئب أن عمك لا يحتاج للاستيقاظ مبكراً ، فأنت تعمل بالأعمال الحرة حسبما يردّد سكّان البناية .. أليس كذلك ؟

أجابته (أدهم) في هدوء ، على الرغم من أن تلك الأسئلة قد أصابته بالملل :

— بلى .. ربّما .

عاد الأستاذ (جميل) يسأله في شغف وفضول شديدين :

— ما طبيعة تلك الأعمال بالضبط يا أستاذ (أدهم) ؟

كاد (أدهم) ينفجر ضاحكاً ، وهو يتخيّل التعبيرات التي سترسم حتماً على وجه الأستاذ (جميل) ، لو أنه أخبره بحقيقة عمله ، ولكنه كتم ضحكته ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :

درجة البرودة تبلغ الأربعين تحت الصفر^(*) ، وقال في هدوء :

— ولكن مناخنا في (مصر) يُعدّ معتدلاً ، بالمقارنة بمناخ العديد من الدول يا أستاذ (جميل) .. أليس كذلك ؟

مطّ الأستاذ (جميل) شفّيه ، وهو يقول في لهجة متبرّمة :

— بلى .. هذا صحيح .

وصل المصنعد في تلك اللحظة ، ودعا (أدهم) الأستاذ (جميل) ليتقدّمه ، ثم لحق به داخل المصنعد ، وضغط زرُّ المبوط إلى الطابق السفليّ ، في حين سأله (جميل) في لهجة تخفي وراءها الكثير من السخط والتساؤل :

— هل تعلم أنها أوّل مرّة نلتقى فيها في مثل هذا الموعد يا أستاذ (أدهم) ؟

أراد (أدهم) أن يخبره أن السبب يعود إلى أنه يستيقظ عادةً في الخامسة والنصف صباحاً ، ويزاول رياضة العدو في الطرقات المحيطة بمنزله حتى السادسة والنصف ، ثم يذهب إلى الإدارة ، حيث يصلها في الساعة تماماً ، وهو نفس الوقت الذي يكون فيه الأستاذ (جميل) قد استيقظ على التوّ من نومه ،

(*) راجع قصة (التضبان الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

— إنها أعمال غير تقليدية بأستاذ (جميل) .. أعمال خاصة .

أنقذه وصول المصنعد إلى الطابق الأرضى من سؤال جديد ، ارتسم على ملامح الأستاذ (جميل) ، وانفجرت شفاته لتلقى به ، لولا أن بادره (أدهم) ، قبل أن يغادر المصنعد فى سرعة :

— فرصة سعيدة بأستاذ (جميل) .. أرجو أن يتكرر هذا اللقاء مرة أخرى .

انعقد حاجبا الأستاذ (جميل) فى استكار ، وهو يتابع ببصره (أدهم) ، الذى اخترق مدخل البناية فى خطوات سريعة ، غير مبال بالمطر التهمر فى غزارة ، وقفز داخل سيارته ، وأدار محركها لتتعلق به مبتعدة ، وفتح الأستاذ (جميل) مظئته ، وأحكم كوفئته حول عنقه ، ثم رفع المظلة فوق رأسه ، واتجه إلى سيارته ، وهو يغمغم فى سخط :

— ياله من شاب عايب !! من الواضح أنه من ذلك النوع الذى لا يشعر بالمسئولية قط ، وأن حياته لاهية رتيبة ، لا تحمل أى نوع من الإثارة .

وهز رأسه فى ثقة ، قبل أن يُردف فى تأكيد :

— إن نظرتى لا تخطئ أبدا ..

استقبل مدير المخابرات (أدهم صبرى) فى مكتبه ، وصافحه وهو يقول :

— من المؤسف أن نضطر لإيقاظك فى مثل هذا الطقس (يا ن ١) ، ولكن تفوقك فى عالم المخابرات منح (مصر) الحق فى أن تناديك فى أية لحظة ، مادامت تحتاج إليك .

غمرت المكان موجة من الحماس والحب ، مع حروف كلمات (أدهم) ، وهو يقول :

— ولن يمتنعى سوى الموت من تلبية هذا النداء ياسيدى .
تطلع إليه مدير المخابرات بنظرة تحمل كل الفخر والاعتذار ، ثم ربت على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

— هذا ما تنتظره منك (مصر) يا ولدى .
ثم اتجه ليجلس خلف مكتبه ، وبسط راحته فوقه ، وهو يستطرد فى اهتمام ، بدا وكأنه قد ملك كيانه كله :

— إن (مصر) تعانى فى الآونة الأخيرة انتشار شبكات التجسس ، على نحو يؤلمها (يا ن - ١) ، ولا يكاد يمضى شهر أو آخر ، إلا وتلقى أجهزتنا القبض على جاسوس

أو جاسوسين، كما لو كنا على شفا حرب طاحنة جديدة ..
ويروى عنى أن أخبرك أن عدد شبكات التجسس الداخلية ،
التي تم الإيقاع بها، خلال الأشهر الخمسة الماضية، يفوق كل
شبكات التجسس التي أوقفنا بها، في الفترة بين حرب عام ألف
وتسعمائة وسبعة وستين، وحرب أكتوبر عام ألف وتسعمائة
وثلاثة وسبعين، مما جعل الأمر يتخذ صورة بالغة الخطورة،
جعلتنا نجند كل عملاتنا في الداخل والخارج، للسعى خلف سر
انتشار شبكات التجسس في بلادنا على هذا النحو.

لاح مزيج من القلق والاهتمام في عيني (أدهم) ، وهو
يسأله :

— هل تتبع كل هذه الشبكات من مصدر واحد يا سيدي؟

قلب مدير المخابرات كفيه في خيرة ، وقال :

— هذا ما يبدو لنا يا (ن - ١) ، فكل هذه الشبكات

تعمل بنظام واحد ، وتتبع وسيلة واحدة في جمع المعلومات ،
وإرسالها إلى الخارج ، ولكن ما من شبكة كانت تعلم شيئا عن
أفراد الشبكات الأخرى ، كما أن العناوين التي ترسل إليها
المعلومات تختلف من شبكة إلى أخرى .. ولكن

نطق مدير المخابرات الكلمة الأخيرة بلهجة خاصة ،
جعلت (أدهم) يسأله في شغف :

— ولكن ماذا يا سيدي ؟

انحنى المدير إلى الأمام ، واستند بصدره إلى حافة مكتبه ،
وهو يقول في اهتمام بالغ :

— لقد درسنا كل ذرة تراب أمكن العثور عليها، عند
إيقاعنا بكل شبكات التجسس ، ونبشنا كل شبر بحثا عن
طرف الحيط ، الذي يقودنا إلى مصدر هذه الشبكات ،
وهدفها، حتى عثرنا بعد نضال وجهاد وعرق على ما بدأ لنا أنه
طرف حيط ، فتشبنا به ، وفحصناه ، ومحصناه ، وسعينا
خلفه ، ولكننا عجزنا عن جذب الحيط كله من هذا
الطرف .

غمغم (أدهم) في لهجة تحمل كل انفعاله :

— إنك تلهب فضولي يا سيدي .

نهض مدير المخابرات من مقعده، واستدار بجسده كله؛
ليواجه خريطة العالم الضخمة، المعلقة خلف ظهره ، أسفل
علم الجمهورية ، ووضع طرف سبابه على نقطة من أعلاها ،
وهو يقول :

— هنا انتهى الحيط .. في خط طول (٨٠ °) غربى

(خط جرينتش) (*)، وخط عرض (٨٠°) شمالي
(خط الاستواء) (**).. هنا ضاع الخيط من رجالنا .
تطلع (أدهم) إلى حيث أشار مدير المخابرات ، فوجد
سبأته تستقر وسط جزيرة (السمير) ، في أقصى الشمال
الكندى ، وقفز ذهنه دون أن يدري ، محاولاً تصوّر درجة
البرودة في ذلك المكان ، الذى يسبح في اغيظ القطبى
الشمالى ، في ذلك الوقت من السنة ، ولكنه طرد هذه الفكرة
من ذهنه في سرعة ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، الذى
أزدف في ضيق واضح :

— هنا وجد رجالنا أنفسهم عاجزين عن العمل ، في
جزيرة يبلغ تعداد سكانها أقل من تعداد قرية مصرية صغيرة ،
ويبدو فيها الغريب مميّزاً واضحاً ، كما لو كان هزةً سوداء على

(*) خط جرينتش : خط الطول الجغرافى الرئيسى ، يمر بالمرصد
الفلكى الشهير ، الذى يسجل منه توقيت (جرينتش) ، والذى يوجد
في ضاحية (جرينتش) بمدينة (لندن) في (إنجلترا) .

(**) خط الاستواء : خط العرض الرئيسى جغرافياً ، ويقال عنه
أيضاً (خط الصفر الجغرافى) .. وهو يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين ،
شمالى وجنوبى ، وهو يقطع (أمريكا الجنوبية) ، و (إفريقيا) ،
و (سومطرة) ، وجزر (بورنيو) .

سطح من الجليد الناصع البياض .. هنا انتهى بنا الخيط إلى مزيد
من الغموض .

اعتدل (أدهم) ، وهو يسأل المدير في اهتمام بالغ :
— ألا توجد هناك مصانع ، أو شركات تجارية يمكن
التعامل معها ؟

ابتسم المدير ابتسامة مبتسرة ، وهو يقول :
— لقد التقطت العبارة من فمى يا (أدهم) .. نعم ..
توجد هناك شركة تجارية واحدة ، ومصنع واحد يتبع نفس
الشركة ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لدخول (السمير) ،
بأقل قدر من إثارة الشكوك والخدّر ، فهذه الشركة تعتمد على
صيد وتصدير الأسماك القطبية ، ولها فروع في معظم دول
(أوروبا) ، وهناك شخص ما ، داخل هذه الشركة ، يدير
كل شبكات التجسس التى أوقفنا بها ، لهدف ما ، والوسيلة
الوحيدة للوصول إلى هذا الشخص ، وذلك الهدف ، هو
انتحال صفة رجل أعمال ، يسعى للتعاقد على شراء ، أو
استيراد منتجات الشركة .

بهض (أدهم) ، وابتسم في هدوء ، وهو يقول :
— أعتقد أننى أحتاج إلى العودة لمنزلى أولاً ياسيدى ، قبل

أن أنطلق إلى (كندا) ، في شخصية رجل الأعمال هذا ،
فلاريب أن درجة البرودة هناك تستصل إلى ماتحت الصفر
بكثر ، وثباني هذه لن

قاطعه مدير المخابرات في حزم :

— لقد أرسلت حقيقتك إلى المطار منذ ساعة
(يا ن — ١) .. وستجد بها كل ماتحتاج إليه .

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

— وماذا عن (منى) ؟

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— ستبقى (منى) هنا يا (ن — ١) .. إن مهمتك هذه
المرّة لا تتحمل العنصر النسائي .. إنها مهمة رجل واحد .

شعر (أدهم) بالضيق ؛ لأن (منى) لن ترافقه في مغامرته
هذه المرّة ، إلّا أنه أجاب في ثبات :

— كما تأمر يا سيدي .

ثم استدار ليغادر الحجرّة ، إلّا أن المدير استوقفه ، قائلاً :

— (أدهم) ..

كانت كلمته تحمل دفاء الدنيا كلها ، مما جعل (أدهم)
يستدير ليواجهه في هدوء ، وهو يقول في صوت خافت :

— نعم يا سيدي .

صمت مدير المخابرات لحظة ، وهو يتأمله في إمعان ، ثم
قال في صوت غلب عليه التأثير :

— اعمل على أن تعود إلينا سالمًا .

امتلاّت ملامح (أدهم) بعزم قويّ ، وهو يقول في صوت
غلبه الحماس :

— (مصر) أوّلًا يا سيدي .

وانطلق ليبدأ عملياته الجديدة ، في مناخ تحت الصفر ..



(هنريك إدوارد) ، بحكم كونها صاحبة الحق في استغلال
المكان ..

ولقد أبرق (أدهم) إلى الشركة ، يطلب مقابلة مديرها ،
وصاحبها (هنريك إدوارد) منذ خمسة أيام ، قضاها في فندقه
ينتظر الجواب ، وقد كاد الملل يقتله ، ويعصف بكيانه ، حتى
لقد راودته اليوم فكرة البحث عن وسيلة للتسلل إلى الشركة ،
وانتزع (هنريك) من مقعده ، وإجباره على الاعتراف بأنه
الرجل الذى يدير كل شبكات التجسس في (مصر) ، إلا أن
الفكرة بدت له شديدة السخافة ، وهو يتطلع إلى الثلوج في
تلك اللحظة ..

وبينا هو مستغرق في أفكاره ، سمع من خلفه صوتا هادئا ،
مهذبا ، يقول :

— مستر (أندريه صاند) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟
استدار (أدهم) في هدوء ؛ ليواجه محدثه ، وهو يجاهد
لإخفاء تلك اللهفة التى ملأت أعماقه ، والتى أنبأته أن لحظة
العمل قد حانت ، بعد خمسة أيام من الحمول ، وتطلع في إمعان
إلى وجه محدثه الشاب ، الأشقر الشعر ، الأزرق العينين ،
الهادئ الملامح .. ولقد بدت له تلك الملامح ذات طابع المائى
أصيل ، قبل أن يستطرد الشاب في هدوء :

٢ — الكمبيوتر ..

تذكر (أدهم) حديث جاره الأستاذ (جميل) ، عن سوء
المنام في القاهرة ، وهو يتطلع غير تلك النافذة الزجاجية البالغة
الضخامة ، في زدهة الفندق الذى يقيم فيه في جزيرة (بافن)
الكندية ، إلى الثلوج التى تمتد أمام عينيه إلى ما لا نهاية ، وتغمر
أسطح السيارات والمنازل ، وتغطي الطرقات برداء أبيض بارد ،
وعلى الرغم من أجهزة التكييف القوية ، التى تملأ الفندق ،
وعلى الرغم من الأخشاب المشتعلة في مدفئه العتيقة ، إلا أن
درجة البرودة داخله كانت تنخفض كثيرا عن مثلتها في
(القاهرة) .

ولقد شعر (أدهم) بمدى صعوبة مهمته في اليوم الأوّل
لوصوله إلى (كندا) .. فلقد كانت جزيرة (إلسمير) ، التى
يتغى الوصول إليها ، تبدو في هذا الوقت من العام كمنطقة
محرمة ، منعزلة ؛ إذ كان الوصول إليها يحتاج إلى الكثير من
التحاطرة ، باختراق محيط متجمد ، بالإضافة إلى ضرورة الحصول
على تصريح خاص من شركة الصيد ، التى يملكها الملياردير

— أقدم لك نفسى .. (فون دريك) .. مدير العلاقات العامة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك القطبية .
 مد (أدهم) يده يصافح الشاب فى هدوء ، وهو يقول بلغة فرنسية سليمة :
 — يسعدنى لقاؤك يا هز (فون دريك) .
 ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يردف بالإنجليزية تحمل اللكنة الفرنسية :
 — معذرة يا صديقى .. لقد نسيت أنكم تتحدثون الإنجليزية هنا .
 ارتسمت على شفتى (فون دريك) ابتسامة رسمية مهذبة ، وهو يقول :
 — لا بأس يا ماستر (أندريه) .. إننى أجيد الفرنسية أيضاً .
 رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يتف :
 — رائع .. دغنا نتحدث بالفرنسية إذن ، فأنا أخشى ألا تعاوننى إنجليزيتى على حسن الحوار .
 هز (فون دريك) كتفيه ، وهو يقول بالفرنسية :
 — كما يحلو لك يا مسيو (أندريه) .
 قاده (أدهم) فى هدوء إلى مقعدتين متجاورتين بجزء المدفأة ، ومال نحوه يسأله فى اهتمام :



استدار (أدهم) فى هدوء ، ليواجه محذنه ، وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التى ملأت أعماقه ..

— ماذا أصاب شركتكم يا صديقي ...؟ إننى أنتظر جواب
برقيتى منذ خمسة أيام !

عاد (فون دريك) يرسم على شفتيه تلك الابتسامة
المهذبة ، وهو يقول فى هدوء :

— معذرة يا ماسيو (أندريه) ، فلم تصلنا برقيتك سوى
أمس ، ولقد أمرنى مستر (هنريك) بالقدوم إليك على
الفور .

عاد (أدهم) يرفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو
يقول :

— القدوم إلى؟! .. يبدو أنكم قد أسأتم فهم برقيتى
يا صديقي ، فلقد طلبت أن أذهب أنا إليكم ، لأن تأتوا أنتم
إلى هنا !

اختفت ابتسامة (فون دريك) ، وهو يقول فى لهجة
حادة ، أقرب إلى الصرامة :

— ربما أمكننا أن نمنحك ما تريد هنا يا ماسيو (أندريه) ،
ودون الحاجة إلى تجسيمك مشقة الحضور إلينا ، فى هذا
الطقس المرؤع .

كان (أدهم) يتوقَّع هذا الجواب ، وكذلك كانت

التجارب المصرية تتوقَّعه ؛ لذا فلم يد أى أثر للإحباط
أو الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يسترخى فى مقعده ،
قائلًا :

— لا بأس .. لو أنك تملك حق إصدار القرار .

أجابه (فون دريك) فى بروح :

— كلنى آذان صاغية يا ماسيو (أندريه) .

زفر (أدهم) كرجل أعمال لا يروق له أسلوب التعامل
معه ، وقال :

— حسنًا .. إنكم شركة كبرى ، ولكم فروع فى معظم

دول (أوروبا) ، ولكن ماذا عن (آسيا) ؟

غمغم (فون دريك) فى خيرة :

— ماذا تعنى يا ماسيو (أندريه) ؟

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى حماس :

— ماذا لو أننى حصلت على حق توزيع منتجاتكم فى

(آسيا) كلها : شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ؟ سيكون

هذا رائعًا .. مستذوق (آسيا) الأسماك القطبية ، وتغرم

بها ، و.....

قاطعته (أندريه) فى هدوء :

— الآسيويون لديهم مايكفيهم من أسماكهم يامسيو
(أندريه) .. فهناك المصايد اليابانية للأسماك ، والتي تُعد من
أكبر مصايد الأسماك في العالم ، ومصايد (هونج كونج) ،
(تايران) ، و (فيتنام) ، ثم إنه هناك مصايد الأسماك
القطبية السوفيتية ، و

قاطعه (أدهم) هذه المرة في حماس :

— سنهزم كل هذا يا صديقي .. سنحطمهم تحطيمًا ..
سنيدهم أسماكًا أجود ، وبسر أقل .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة :

— بسر أقل من (تايران) و (هونج كونج) ؟!

مال (أدهم) نحوه ، ورسم على وجهه علامات الخبث ،
وهو يهمس في لهجة من يكشف سرًا بالغ الخطورة :

— إن لديّ حُطّة رائعة .

ظل (فون دريك) يتطلّع إليه طويلًا ، في نظرات بدت
وكانها تنفذ إلى ما تحت جلد (أدهم) ، الذي ظلّت ملامحه
على حالها ، حتى غمغم (فون دريك) في هدوء :

— كم تتصوّر حجم تعاملك معنا سنويًا يا مسيو (أندريه) ؟

عاد (أدهم) إلى وضعه الأول ، وملاّ ظهر مقعده بكتفيه
العريضتين ، وهو يلوح بكفّه ، قائلاً :

— مليار دولار .

رفع (فون دريك) حاجبيه في دهشة بالغة ، وردّد في
خبرة :

— مليار دولار ؟!

ثم شبّك أصابع كفّه أمام وجهه ، وعقد حاجبيه ، وهو
يفكّر في عمق ، قبل أن يقوّل في هدوء :

— لست أعتقد أنني أملك حق اتخاذ القرار في صفقة

ضخمة إلى هذا الحجم يامسيو (أندريه) .

لُوح (أدهم) بذراعيه ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أقصده ، حينما أخبرتك أنه من الضروري

أن أذهب أنا إليكم .. إن حجم الصفقة يستلزم مناقشتها مع

مسيو (هنريك) نفسه .

مرّة أخرى عاد (فون دريك) يتطلّع إلى (أدهم) طويلًا ،

ثم همّ بالنهوض ، وهو يقول :

— حسنًا يامسيو (أندريه) ، سأبلغ مسيو (هنريك)

بالأمر ، و

هتف (أدهم) في لهجة الرجل الذي نفذ صبره :

— يا إلهي !! لقد أضعنا خمسة أيام كاملة .

ابنسم (فون دريك) هذه المرة ، وهو يقول :
— اطمئن يامسيو (أندريه) .. لن تشرق شمس الغد
إلا وأنت في (إلسمير) .

* * *

عقد (هنريك إدوارد) حاجيه ، وهو يستمع إلى
(فون دريك) في اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وهو يسأل :
— مليار دولار !؟ .. ألا يبدو لك الأمر مثيراً للشك ؟
لُوح (فون دريك) بذراعه ، وهو يقول :
— يبدو أنه شديد التفاؤل بالنسبة لنجاح مشروعه .
أوماً (هنريك) برأسه بلا معنى ، قبل أن يفهم :
— هذا إذا ما كان هناك ملياردير فرنسي بهذا الاسم حقاً .
ابنسم (فون دريك) ، وهو يقول :
— لقد تحزيت هذه النقطة بالذات يا هز (هنريك) ،
خلال الأيام الخمسة الماضية ، ولقد وجدت أنه يوجد بالفعل
ملياردير فرنسي يدعى (أندريه صاند) ، ولكننا لم نحصل على
صورته بعد .

بدا الاهتمام على وجه (هنريك) ، وهو يقول :
— وهل حصلت على صور الرجل الذي قابلته ؟

أوماً (فون دريك) برأسه إيجاباً ، وقال :
— نعم .. لقد قام (جونج) بعمل رائع ، والنقط خمس
صور فوتوجرافية واضحة للرجل ، حينما كنت أتحدث إليه في
الفندق ، وهاهي ذى .

وأعقب قوله بالنقاط الصور الخمس من جيب معطفه ،
وتسليمها لـ (هنريك) ، الذي تأملها في إمعان ، قبل أن
يقول :

— حسناً .. فلنتر ماذا يقول عنه الكمبيوتر ؟
ثم دفع أكثر الصور وضوحاً دلهل تجويف خاص ، في
جهاز كمبيوتر حديث ، وضغط أزراره وهو يقول :
— سيدهنشي لوجاءت إجابة الكمبيوتر سلبية .
ثم لم تلبث عيناه أن تألقتا على نحو مخيف ، وارتسمت على
شفتيه ابتسامة فجّرت قبلة من القلق في أعماق
(فون دريك) ، وهو يقول :
— يبدو أننا قد وقعنا على صيد أكبر مما كنا نتوقع يا عزيزي
(فون دريك) .

قفز (فون دريك) من مقعده ، ودار حول مكتب (هنريك)
في هفة ، ليتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، التي ارتسمت فوقها

صورة واضحة لـ (أدهم صبرى) ، بدون الشارب الضخم ،
والمنظار الطبي ، اللذين أخفى بهما ملامحه ، وهو يستقبل
(فون دريك) ، وتحت الصورة كلمات تقول :

— الاسم : (أدهم صبرى) .. المهنة : ضابط مخبرات
مصرى .. الصفة المميّزة : أخطر ضابط مخبرات فى العالم .

امتقع وجه (فون دريك) ، وغمغم فى صوت شاحب
مختق :

— يا للشيطان !!

أما (هنريك) ، فقد أخذ يقرأ المعلومات المرسمة على
شاشة الكمبيوتر فى صوت مسموع ، دون أن تختفى
إبسامته :

— الرمز الكودى : (ن — ١) .. لم يتعرّض لهزيمة واحدة
طوال عمله فى المخبرات المصرية .. تسعى خلفه كل التنظيمات
الإجرامية القوية فى جميع أنحاء العالم .. لا يميل إلى إراقة الدماء ،
ولكنه فائق الذكاء ، بالغ القوة والجرأة والجمسارة .. لم يمكن
حصص كل المهارات التى يجيدها .. فشلت كل محاولات
التخلّص منه .

ثم التفت (هنريك) إلى (فون دريك) ، مستطرّداً فى
برود :

— إذن فهو رجل أعمال متفائل يا صديقى .
وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، ازداد لها امتقاع وجه
(فون دريك) ، قبل أن يستطرّد :

— رائع هو جهاز الكمبيوتر هذا .. إنه يدرس الملامح فى
دقّة ، ويكشف صاحبها ، مهما أتقن تنكّره .. إنه يستحق
المبلغ الضخم ، الذى أنفقته للحصول عليه .. ولأوّل مرّة
أشعر أن المعلومات التى نشترىها من (الموساد) تستحق ثمنها .
هتف (فون دريك) فى شحوب :

— سنرفض قدومه إلى هنا بالطبع .

أطلق (هنريك) ضحكة أخرى قويّة ، ثم قال :

— يا للشيطان !! .. أنتظاهر بالغباء يا (فون) ، أم أن هذه
حقيقتك ؟ .. إن قدوم أخطر ضابط مخبرات مصرى إلى هنا ،
يعنى أن المصريين قد توصلوا إلى أنسا خلف كل شبكات
التجسس ، التى أوقفوا بها فى الشهور الخمسة الأخيرة .. ونحن
لا ندرى ماذا لديهم فوق ذلك ، وهذا يعنى ضرورة إحضار
ضابطهم إلى هنا .

٣ - أنفاس من ثلج ..

جاء الصباح التالي قارص البرودة ، وتدنّت درجة الحرارة حتى بلغت الأربعين تحت الصفر ، ولكن ذلك لم يمنع هبوط الهليوكوبتر ، الخاصة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك القطبية ، في ساحة الفندق ، الذي يقم فيه (أدهم) ، الذي شعر بالبرودة تكاد تجمّد أنفاسه ، وهو يستقبل (فون دريك) ، هاتفاً :

— مرحباً يا صديقي .. هل أتيت لتصحبنى إلى رئيسك ؟
ابتسم (فون دريك) ابتسامة لم ترق لـ (أدهم) ، وهو يقول :

— إنه ينتظرك في لفة يا مسيو (أندريه) .
وتبعه (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، التي بدت وكأنها كُرّة من الثلج ، وهي ترتفع في طريقها إلى (إسمير) ، في حين قال (فون دريك) في برود ، يفوق برودة الطقس :

— سيكون عليك احتمال البرودة طوال ساعة كاملة يا مسيو (أندريه) ، فنحن لانستخدم أجهزة التكييف داخل

هاتف (فون دريك) في استكار :

— وماذا لو نجح في معرفة سرنا الأكبر ؟

هزّ (هنريك) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— سيكون عليه حينئذ أن يغادر (إسمير) ، لينقل ما عرفه إلى رؤسائه ، ومغادرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله يا عزيزي .
وفي هذه المرّة شاركه (فون دريك) ضحكته الشيطانية ..



الهليوكوتر ، إذ يؤدي استخدامها إلى تكاليف البخار على زجاجها ، وهذا يفوق قاندها عن الرؤية .

غمغم (أدهم) في هدوء :

— إننى أقدر هذا .

وبعدها لم يتبادل كلمة واحدة مع (فون دريك) ، طوال رحلتها إلى (السمر) ، حتى هبطت بهم الهليوكوتر في مهبطها الخاص ، على سطح مبنى الشركة ، فغادرها (فون دريك) و (أدهم) ، الذى غمغم في سخط ، وكأنه رجل أعمال يعتز بترائه :

— لماذا لم يستقبلنى مسيو (هنريك) ؟

ابتسم (فون دريك) في خبث ، وهو يقول :

— لا تتعجل يامسيو (أندريه) ، سيم كل شيء في موعده .

هبط الاثنان بواسطة مصنع صغير إلى الطابق الثالث من المبنى ، وشعر (أدهم) لأول مرة ، منذ وصوله إلى (كندا) ، بالدفع ، فهتف في انبهار مصطنع :

— يا إلهى !! .. إن الأمر يبدو وكأننا قد انتقلنا فجأة إلى

(أكابولكو)^(*) ، وقفز بنا الزمان إلى شهر يوليو .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— لقد تكلفت أجهزة التكيف هنا عشرة ملايين دولار .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وألقى فكه السفلى إلى أسفل ، شأن الرجل الذى ملأته الدهشة ، وهتف :

— عشرة ملايين دولار لأجهزة التكيف فقط ؟ لا ريب

أن مسيو (هنريك) بالغ الثراء !!

غمغم (فون دريك) في هدوء :

— هذا صحيح .

توقف بهما المصعد في الطابق الثالث ، وفوجئ (أدهم)

بأربعة رجال يصوبون مسدساتهم نحوه ، وهو يغادر

المصعد ، فهتف في استكار :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

أشار (فون دريك) إلى الرجال الأربعة ، فخفضوا قوّهات

مسدساتهم ، وأعادوها إلى أحزمتهم ، وقال هو في هدوء :

(*) أكابولكو : مصيف شهير في المكسيك ، يطلق عليه اسم

(مصيف الأثرياء) .

— إنه إجراء أمن عادى يا مسيو (أندريه) .. فلو أنسى
لا أصحبك ، لكان عليهم إطلاق النار بلا تردد .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— إجراء عجب ، خاصة وأن جزيرة (إلسير) تُعدُّ
مغلقة تقريباً .
مطأ (فون دريك) شففيه ، وهو يقول فى برود :
— يمكنك أن تقول إن مسيو (هنريك) شديد الحرص .
غمغم (أدهم) ، وهو يخطو غير الممر ، الممتد أمام
المصعد :

— نعم .. إلى درجة مبالغ فيها للغاية .

وفجأة .. ارتفع رنين أجراس قوية ، وانتزع الحراس
الأربعة مسدساتهم فى حركة سريعة ، وارتسمت على وجوههم
شراسة رهيبية ، وهم يصوبونها نحو (أدهم) ، فى حين قال
(فون دريك) بابتسامة باردة :

— لقد خالفت تعليمات الأمن يا مسيو (أندريه) .. إنك
تحمل سلاحاً أسفل معطفك .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وأخرج من جيب معطفه
مسدساً كبيراً ، ناوله لـ (فون دريك) ، وهو يقول :

— إنك لم تخبرنى أن هذا ممنوع .. إنسى أحمل مسدسى
الخاص دائماً .. إنه ضرورى بالنسبة لرجل أعمال مثل
التقط (فون دريك) المسدس فى هدوء ، وعقد حاجبيه
حينما وجد أنه فرنسى الصنع ، ثم أشار إلى الرجال الأربعة مرة
أخرى ، فعادوا يخفضون أسلحتهم ، وأوقف أحدهم رنين
الأجراس المزعج ، على حين استطرد (أدهم) فى هدوء :

— إذن فأنتم تستخدمون ذلك الجهاز السخيف ، الذى
يستخدمونه فى المطارات .. لقد بدأت أميل إلى أن مسيو
(هنريك) هذا مصاب بالوسواس القهرى .
ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— احترس يا مسيو (أندريه) .. إنه يسمعك الآن فى
وضوح ، غير أجهزة دقيقة ، تختفى فى نقوش الخائط ، ترسل
إليه صورتك وصوتك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :
— هذا طريف .

ثم توقف أمام الحجر الوحيدة فى نهاية الممر ، واستطرد فى
هدوء :

— لو سبنا طبقاً للقواعد ، فستكون هذه هى حجرة
الزعيم .

لم يكذب بعبارة ، حتى تحرك باب الحجر في هدوء ،
وظهر خلفه رجل وسيم ، أسود الشعر ، فيما عدا فؤذين
وخطهما الشيب ، يشيران إلى عمره الذي تجاوز الخامسة
والأربعين بعام أو بعض عام ، وابتسم الرجل ، وهو يقول في
هدوء شديد :

— مرحبا بك في شركتي يامستر (أندريه) .. أقدم لك
نفسى .. أنا (هنريك إدوارد) .

صافحه (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :
— يسعدني لقاءك يامستر (هنريك) ، ولكنني أعترض
كثيرا على أسلوبك في استقبال ضيوفك .

لم تبد على ملامح (هنريك) أية تغيرات ، سوى أنه أغلق
عينيه وفتحهما بلا مبرر ، ثم أفسح الطريق لـ (أدهم) ،
وأشار إليه بالدخول ، وهو يقول :

— سنناقش هذا فيما بعد يامستر (أندريه) .
دخل (أدهم) إلى حجره المكتب الفاخرة ، وتبعه
(فون دريك) ، ثم أغلق الباب خلفهما في هدوء ، فابتسم
(أدهم) وهو يقول :
— يبدو أنك مغرم بالآليات يامسيو (هنريك) .

أجابته (هنريك) في هدوء :

— إلى حد الجنون يامستر (أندريه) .. إننا نحيا في الربع
الأخير من القرن العشرين ، ولقد أصبح كل شيء يدار
بالكمبيوتر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، وهو
يقول :

— إننى أفضل الوسائل القديمة .

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول :

— ولكن الوسائل الحديثة أكثر سرعة وفعالية يامستر
(أندريه) .. إنها تجعلك تلمس العالم بأصابعك ، دون أن
تفارق مقعدك .

ثم استقر خلف مكتبه الأنيق ، قبل أن يستطرد في برود :
— ألا توافقني على هذا يا ... يا (ن - ١) ؟

تحفزت عضلات (أدهم) كلها ، حينما سمع (هنريك)
بخطابه بلقبة السرى ، ونذت منه حركة ثوجسى باستعداده
للانقباض على (هنريك) بلا تردد ، لولا أن ارتفع صوت
(فون دريك) من خلفه ، يقول :

— لا تحاول يامستر (أدهم) .. إن مسدسى مصوب إلى

رأسك مباشرة ، وأسأعر بسعادة جمّة لو اضطررتنى لإطلاق
رصاصاته عليه .

* * *

لا أحد يمكنه أن يتصوّر مدى الخنق ، والسخط ،
والغضب ، والإحباط فى أعماق (أدهم) ، فى تلك
اللحظة ..

لقد رأى الحطّة المُحكّمة ، التى أعدّتها المخابرات
المصرية ، فى براعة منقطعة النظير ، تنهار فجأة ، دون أن
يدرى لذلك سببًا .. ولقد ملأ هذا نفسه بكل تلك المشاعر
السابق ذكرها ، إلّا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وأضيفت إليها
ابتسامة ساخرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— تحلّعة طريقة أيها الوغدان .. والآن ماذا تنتظران أن
أفعل ؟.. أأفقد الوعى ، أم أهب كفىّ بالتصفيق ؟

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول فى هدوء :

— لا هذا ولاذاك يا مستر (أدهم صبرى) .. كل
ما تريده منك هو أن تجلس هادئًا ، ونخبنا بكل ما لدى
المخابرات المصرية بشأننا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول متهكمًا :

— هل أخبرتكم آلياتك أنتى سأفعل ذلك بهذه البساطة أيها
الوغد ؟

هتف (فون دريك) فى خنق :

— ستفعل أو أطلق النار على رأسك .

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض
بالتحدّى ، جعلت المسدّس يرتعد فى يديه ، حينما خرج صوت
(أدهم) من بين شفّته قاسيًا كالصلب ، باردًا كالثلج :

— إننى أكره أسلوب التهديد أيها الألمانى .. أطلق
مسدّسك أو أعدّه إلى جيبيك .

احتقن وجه (فون دريك) فى شدة ، وهو يهتف فى غضب :

— ستوردك صفاقتك هذه مورد التهلّكة أيها المصرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، زادت من خنق

(فون دريك) وغضبه ، قبل أن يقول :

— حاول ألا تجعل صوتك مرتجفًا هكذا ، وأنت تلقى

التهديدات أيها الوغد .

صرخ (فون دريك) فى غضب هادر :

— سأقتلك .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى .

ودوى فى الحجرة صوت طلق نارى ، أصاب هدفه فى إتقان ..

* * *

٤ - الهدف ..

لو أن فنانًا مغمورًا أراد أن يرسم لوحة متميزة ، تقفز به إلى عالم الشهرة والخلود ، وتحمل اسم (الذهول) ، ما كان عليه إلا أن يحمل ريشاته وألوانه ، وينتقل إلى حجرة (هنريك) ، ويعمل جاهدًا على نقل ملامح هذا الأخير ، ولامح معارونه (فون دينك) في لوحه ؛ فقد كان كلاهما في تلك اللحظة صورة مجسمة للذهول ، وهما يحدقان في ذلك المسدس ، الذي يمسك به (أدهم) في استخفاف ، والذي التقطه من جيب معطفه في سرعة مذهلة ، وأطلق منه تلك الرصاصة الصائبة ، التي أصابت هدفها في إتقان ، وطوّحت بمسدس (فون دينك) إلى الركن البعيد من الحجرة ..

ومضت فترة من الصمت ، بدت خلالها ابتسامة (أدهم) الساحرة وكأنها تملأ الحجرة ، قبل أن يبتف (فون دينك) في ذهول :

— ولكنَّ جهاز كشف الأسلحة قد

قاطعه (أدهم) في سخرية :



استدار إليه (أدهم) في هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض

بالتحدى ، جعلت المسدس يرتعد في يديه ..

— ألم أقل لكما إننى أفضل الوسائل القديمة ؟ .. إن هذا
 المسدس مصنوع بأكمله من البلاستيك ، حتى رصاصاته كلها
 من البلاستيك المقوى ، وهو أحدث صيحة فى عالم الأسلحة ،
 المعدة خصيصًا لخداع جهازكم الحديث .. ولو أنكم اكتفيم
 بتفتيشى يدويًا ؛ لعثرتم على المسدسين ، ولكن الآن أعزل .
 غمغم (هنريك) فى حنق :
 — لن يمكنك أن تغادر هذه الحجره حيًا ، فرجالى الأربعة
 فى الخارج
 قاطعه (أدهم) فى هدوء :
 — بمناسبة ذكر أوغاداك الأربعة ، كيف اتفق أنهم لم يهرعوا
 إلى هنا فور سماعهم الطلق النارى ؟ .. أليس هذا من صميم
 عملهم ؟
 احتقن وجه (هنريك) ، وهو يقول :
 — إن جدران مكيبى عازلة للصوت .
 ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
 — هذا أفضل بالتأكيد .
 اكتست ملاح (هنريك) فجأة بصراصة مخفية ، وهو
 يقول :

— لو أنك تتصور أن مسدسك سيجعلك تحصل منى على
 حرف واحد فأنت
 قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى برود :
 — ومن قال إننى أنوى أن أفعل ذلك ؟
 تطلع إليه (هنريك) و (فون دريك) فى دهشة ، وتحولت
 دهشتها إلى رجفة قوية ، حينما صوب مسدسه إلى رأس
 (هنريك) ، قائلاً فى برود :
 — لقد أتيت إلى هنا لهدف يختلف أياً الوعد .. وهذا
 الهدف يقتصر على قتلك بلا رحمة ..
 * * *
 كان (أدهم) يتوقع أن ينهار (هنريك) إزاء هذا
 الموقف ، على الرغم من الصرامة البادية فى ملامحه ، إلا أن
 (هنريك) تطلع إليه فى دهشة لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن
 ابتسم فى هدوء ، ثم غمرت ابتسامته وجهه كله ، قبل أن
 تتحول إلى ضحكة قوية ، أثارت دهشة (فون دريك) بأكثر
 مما فعلت بـ (أدهم) ، قبل أن يقول (هنريك) فى سخرية :
 — إنك لن تخيفنى بهذا التهديد يا مستر (أدهم) ، ولن
 تخدعنى به أيضاً .. فلقد نقل إلى الكمبيوتر كل ما تصف به ،

ولقد أكد أنك تكره إرافة الدماء ، وأنا أصدق كل ما أتى به
الأجهزة الحديثة يا مستر (أدهم) .. ألم أقل لك إننى مغرم
بالآليات إلى حد الجنون ؟

حافظ (أدهم) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :
— ألم تنقل إليك آلياتك اللعينة ، أننى أهوى تحطيم أنوف
من يرفضون الانصياع لأوامرى أيها الوغد ؟

مط (هنريك) شفطه فى أسف ، وجلس على مقعده الكبير
خلف مكتبه ، وبسط كفيه على سطح المكتب ، وهو يقول :
— إننى أكره أن يفعل بى أى مخلوق هذا .

وزفر فى عمق ، ثم أشار إلى (أدهم) فى استسلام ،
مردفأ :

— تقدم يا مستر (أدهم) .. سأخبرك بكل ما ترغب فى
معرفته .

تقدم (أدهم) خطوة واحدة إلى الأمام ، ثم توقف فجأة
حينما أدرك أن استسلام (هنريك) السريع يدعو للرؤية
والشك ، ولكنه أدرك ذلك متأخراً لسوء حظّه ..

كانت هفوة من (رجل المستحيل) ، لم تستغرق سوى جزء
من الثانية ، ولكن هذا الوقت الضئيل كان يكفى (هنريك) ،

ليضغط براحته على حافة مكتبه ، فتفتح فجوة أسفل قدمى
(أدهم) ، الذى وجد جسده يهوى داخل أسطوانة واسعة
مظلمة ، قبل أن تُلغى الفجوة فوقه فى سرعة ..

اقترن سقوط (أدهم) ، فى تلك الهوة العميقة المظلمة .
بضحكة شيطانية ساخرة شامتة ، أنجبتها حنجرة (هنريك) ،
وأطلقتها شفتاه ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، صائخاً فى
زهو :

— يا للأحق المفرور !! هل كان يتصور أنه سيبزم الأسد فى
عرينه ؟

شاركه (فون دريك) ضحكته بمزيد من الانفعال ، قبل
أن يشير إلى حيث سقط (أدهم) ، هاتفاً :

— ها هى ذى نهاية الشيطان ، الذى هزم أعظم وأقوى
منظمات الجاسوسية والإجرام فى العالم .. سيقضى نحبه جوعاً
وعطشاً فى قبو مظلم ، على عمق خمسة عشر متراً باطن الأرض .
لوح (هنريك) بذراعه ، وهو يضحك قائلاً :

— أراهنك أنه لن يقضى نحبه جوعاً وعطشاً ، فالتبؤ غير
مكئف الهواء ، وستبلغ درجة برودته الثلاثين تحت الصفر على

الأقل .. أضف إلى ذلك أنه مُحكّم الإغلاق ، وستجد أن صاحبنا لن يَحتمل إلا يوماً واحداً على الأكثر .

عاد القلق يكسو وجه (فون دريك) ، وهو يغمغم :

— ولكن كيف نبرّر عدم عودته إلى (بافن) ؟

ملأ (هنريك) وجهه بابتسامة هادئة واثقة ، وهو يقول :

— اترك لي هذا الأمر .

ثم أردف وقد ازدادت ابتسامته اتساعاً :

— يمكنك أن تغلق ملف (أدهم صبرى) هذا إلى الأبد ..

من حُسن حظ (أدهم) ، أو من سوء تخطيط (هنريك) ، أن الأسطوانة التي انزلق داخلها ، حتى وصل إلى ذلك القَبو المظلم ، على عمق خمسة عشر متراً في باطن الأرض ، كانت مائلة بزاوية قدرها عشرين درجة على الاتجاه العمودى ، فلو أنها عمودية تماماً ، لتحطّم جسده وهو يوى من ارتفاع ثلاثة طوابق ، إلى عمق كهذا .. أما مع ذلك الميل البسيط ، فقد انزلق جسده على حافة الأسطوانة الداخلية ، حتى أنه لم يسقط على نحو عمودى إلا غير عشرة أمتار فقط . ولولا مرونته ، التي جعلته يثنى ركبتيه ، حيناً ارتطم بالأرض ، ما نجا من تحطّم ساقيه وتشمّمهما ..

وكان القَبو مظلمًا تمامًا ، ورطبًا وباردًا كالثلج ، حتى أن عظام (أدهم) كادت تن من شدة البرودة ، ولقد كشف منذ الدقائق الأولى ، أنه ليس أول ضحية لقبو الجحيم هذا ، فلقد تحسّست أصابعه جشّين متجمدين ، حفظتهما البرودة الشديدة من التحلّل والقضاء ، لضحيتين سبقناه إلى هذا المصير الأسود .. ولقد أثار هذا التمييز حزنه وحَنقه إلى نحو كبير ، وفجّر في أعماقه ينابيع الغضب ، مما جعل ذلك الهدف الذى أخبر به (هنريك) يتحوّل إلى هدف حقيقى ..

لقد قرّر ألا يهدأ له بال حتى يقضى على (هنريك إدوارد) ، وعلى منظّمته كلّها .. أيًا كانت أهدافها .. ولكن عليه أولاً أن يغادر قَبو الجحيم .. ولكن كيف ؟ ..



٥ - قَبْوُ الْجَحِيمِ ..

كان الموقف بالغ الصعوبة ، شديد التعقيد ، حتى مع المعلومات التي اختزنها عقل (أدهم) ، وسط هذا الظلام الدامس ..

كان يعلم أنه يقف أسفل الفتحة السفلى للأنبوب الأسطوانى ، الذى انزلق على حافته الداخلية الملساء ، المائلة بقدر عشرين درجة ، والتي ترتفع على نحو مستقيم طوال ما يقرب من ستة عشر متراً ، فى نعومة تجعل التسلق خلالها مستحيلاً .. كانت هذه المعلومات تكفى لإصابة أشجع الرجال باليأس والإحباط ، خاصة مع إضافة الظلام الدامس ، والبرد القارس ..

ولكن هذا لا ينطبق على رجل مثل (أدهم صبرى) ..
رجل يلقب بـ (رجل المستحيل) ..

وفى هدوء .. جذب (أدهم) جسئ الضحيتين السابقتين ، ووضع إحداهما على ظهرها ، عند موضع قدميه تماماً ، ثم رفع الأخرى ليضعها فوقها ، وهو يقاوم الاشمزاز الذى انتابه ،

ويحاول إقناع نفسه بالقاعدة القديمة ، التى تقول :

« الحى أبقى من الميت » ..

ثم خلع معطفه ، على الرغم من البرودة الشديدة ، ومزقه إلى نصفين ، لفهما حول عنقه ، وتراجع بخطوات واسعة إلى الخلف ، وهو يحرص خطواته ، حتى بلغت خمس خطوات كاملة ، قبل أن يلامس ظهره جدار القبو الرطب ، البارد كالثلج ..

وهنا التقط نفساً عميقاً ، ملأه صدره ، وانطلق فحاة كالرصاصة ، وقفز لمس قدمه الجشتين من أعلى ، ثم دفع جسده بكل ما يملك من قوة وإصرار إلى أعلى ..

وكانت قفزة رهيبية ، لم يقدر سوى للجشتين الباردتين حضورها ..

قفزة يمكن اعتبارها مستحيلة ، حتى بالنسبة للأرقام القياسية ، التى يحطمها أبطال الأولمبياء فى فخر واعتزاز ..

قفزة جعلته يصعد إلى سقف القبو كالصاروخ ، ويتعلق بالفتحة السفلى للأنبوب الأسطوانى ، الذى بدا أشبه بتصل تلجى حاذ ..

ومضت ثانية واحدة ، و (أدهم) معلق بحافة الفتحة السفلى ، ثم انقبضت عضلات ذراعيه الفولاذية ، وعاونت جسده على الصعود إلى داخل الأسطوانة ..

وهنا انتزع (أدهم) نصفى معطفه الممزق عن عنقه ،
ولفّ النصف الأول حول قدميه في إحكام ، ثم ربط النصف
الثاني حول وسطه ، بحيث جعل الجزء الأعظم منه خلف
ظهره ، وبعدها دفع قدميه في جدار الأسطوانة في قوة ، ودفع
ظهره في الجدار المقابل ، وبدأ يصعد ..

كانت عملية شاقّة للغاية ، فقد كانت جدران الأسطوانة
ناعمة زلقة ، وكان عليه أن يتشبّث ، ويدفع جسده إلى أعلى
بقوة تفوق قوة رياضي متفوق .. وبعزيمة لا تقل عن عزيمة رجل
صبور ، قرّر أن ينقل أحجار جبل ضخّم من موضعها وحده ..
وكان الخطأ الواحد هنا يعني أن يهوى جسده مرّة أخرى إلى
قبو الجحيم ..

وهذا يعني الهلاك هذه المرّة ..

واستغرق الأمر ساعة كاملة ..

ساعة كادت خلالها عضلاته تتجمّد من فرط البرودة ،
لولا انجهد الشاق الذي يبذله ، والذي جعل تدفق الدماء في
عروقه يعوقها عن التجمّد ..

وأخيراً .. وصل (أدهم) إلى الفجوة المغلقة ، التي بدأ
منها انزلاقه ، وحافظ على جسده في موضع الثبات ، بدفع



قذرة جعلته يصعد إلى سقف القبو كالصاروخ ،
ويتعلّق بالفتحة السفلى ..

قدميه وظهره في جدارى الأسطوانة المتقابلين ، وحاول أن يدفع باب الفجوة المغلق بقبضتيه ، فوجد أنه يحتاج إلى دفعة قوية مركزة ، فاستجمع مابقى لديه من قوة ، ودفع الباب الصغير ، وفضز إلى حجرة مكتب (هنريك) ، وشهر مسدسه المصنوع من البلاستيك في حركة سريعة ، ولكنه فوجئ بمسدسات رجال (هنريك) الأربعة مصوَّبة إلى صدره ، من أربع جهات مختلفة ، ورأى هذا الأخير يجلس هادئاً خلف مكتبه ، وإلى جواره (فون دريك) ، وسمع (هنريك) يقول في هدوء :

— مرحباً يا مستر (أدهم) .. أهنتك .. إننا ننتظرك منذ ساعة كاملة .

كان وضع الرجال الأربعة مُحكَمًا ، بحيث تصعب إصابتهم بالسرعة المطلوبة ، قبل أن يطلق أحدهم رصاصة صائبة ، خاصة وأن جسد (أدهم) كان قد بلغ ذروة الإجهاد ، بعد ما بذله من مجهود شاق لصعود الأسطوانة الزلّقة ، فخفف قُوَّة مسدسه ، وجاهد ليرسم على شفثيه أكثر الابتسامات سخرية ، وهو يواجه (هنريك) ، قائلاً :

— إذن فقد كنت تعلم أنني في طريقى إلى هنا !

رفع (هنريك) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— منذ اللحظة الأولى يا مستر (أدهم) .

ثم لَوَّح بذراعه ، مستطردًا في زَهْوٍ :

— إنها الآليات الحديثة يا عزيزى ، فذلك القَبْوُ مزوَّد بآلة

تصوير خاصة ، ترسل إلى الصور التى تلتقطها في الظلام ،

بواسطة الأشعة تحت الحمراء .. ولقد نقلت إلى كل ما فعلته

هناك ، وأصدفك القول إنك رجل متفوق ، غير عادى ..

فتلك القفزة الرهيبة ، التى أوصلتك إلى فتحة الأسطوانة ،

جعلتى أشهق ذهولًا ، وكاد صديقنا (فون دريك) يفقد

وعيه ، وطالبنى وهو يكاد ييكنى بأن أطلق قاذفات اللهب

داخل الأسطوانة ، لأشويك حيًا ، ولكننى فضلت أن أمنحك

فرصة كاملة ، فلقد كنت متلهفًا لمعرفة ما إذا كنت ستجح

حتى النهاية أم لا ، فأنا رجل شديد الفضول ، بقدر ما أنا

شديد الحرص يا مستر (أدهم) .

برقت عيننا (أدهم) ، على نحو آثار الرِّجفة في أوصل

(فون دريك) ، وهو يقول في هدوء :

— ستدم يوماً على أنك لم تستمع إلى نصيحة ذلك الوغد الألماني يا (هنريك إدوارد) .

أما (هنريك) ، فقد أطلق ضحكة ساخرة ، عند سماعه عبارة (أدهم) ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسند مرفقيه إلى مسندى مقعده الكبير ، قائلاً في هدوء :

— إن الندم شعور لم يخامرني قط ، طوال حياتي يا مستر (أدهم) ، فأنا أعد لكل شيء عدته ، وأتحمس لكل الظروف .. وعلى سبيل المثال ، لقد أسقطت اهلوكوتير ، التي أتت بك إلى هنا وسط الثلوج ، وأبلغت فندقك في (بافن) بالحادثة المؤسف ، الذي سببه سوء الأحوال المناخية ، في هذا الوقت من السنة ، وأعلنت عن استعدادي لدفع التعويض المناسب لورثتك ، باعتبار أنك (أندريه صاند) ، كما تؤكد سجلات الفندق ، وسيكشف هذا حقيقتك بالطبع ، حيناً يجدون أن (أندريه صاند) الحقيقي حتى يُرزق ، وسيجعل هذا التحقيق يميل إلى جانب آخر ، بعيداً عن شركتي ومنظمتي .. وهكذا ينتهي كل شيء في هدوء .

أجابه (أدهم) في برود :

— وهل تظن أن المخابرات المصرية ستغفر لك ذلك ؟

ابتسم (هنريك) وهو يقول :

— سيان لو فعلوا أو لم يفعلوا يا مستر (أدهم) .. لا تشس أنني ألعب في ملعبى أنا ، وأنتى أملك كل أوراق اللعبة . سأله (أدهم) بنفس البرود :

— وما الذى تنوى أن تفعله معى الآن ؟

هز (هنريك) كتفيه في لامبالاة ، ثم قال في هدوء :

— سعيديك إلى القبو يا مستر (أدهم) ، ولكن جنة هامدة هذه المرة .

ثم أشار إلى رجاله . مستطرذاً في برود :

— أطلقوا النار .



٦ - بين أنياب الأسد ..

فضّ مدير المخابرات المصرية تلك البرقية ، التي وصلت على التّو من (كندا) بأصابع مملّؤها اللّهفة ، وجزت عيناه على كلماتها في اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن اتسعت في جزع وذغفر ، وهو يتنفّس :

— يا إلهي !! .. مستحيل !!

قفزت (منى توفيق) من مقعدها في جزع ، وخفق قلبها في قوّة ، حتى كاد يقفز من بين ضلوعها ، وهي تتنفّس بصوت مرتعد :

— ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

حدّق مدير المخابرات في وجهها لحظة ، قبل أن تخرج الكلمات من بين شفثيه دامعة ، منكّسة ، حزينة ، وهو يقول :

— لقد خسرت (أدهم) عمليته هذه المرّة .

انقبض قلب (منى) في قوّة ، ولجّلت إليها أن أنفاسها تعجز عن ملء صدرها ، وهي تقول في صوت محتقن :

— هل أصابه مكروه ؟

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاباً في بطنه ، قبل أن يغمغم في حزن :

— لقد قُبل .

اتسعت عينا (منى) في ذغفر ولزعة ، وتراجعت إلى الخلف ، وهي ترفع راحتها إلى وجهها في ألم ، وشحبت حتى بدت أشبه بالموثق ، وهي تردّد :

— مستحيل ! .. مستحيل !

ثم دفنت وجهها في راحتها ، وهي تتنفّس في ألم :

— مستحيل أن ينتهي (أدهم) على هذا النحو !!

صاح بها مدير المخابرات في صرامة ، لم تخفّ نبرة الحزن في كلماته :

— كفى أيّتها النقيب .. إننا لسنا موظفين إداريين في وزارة

حكومية .. إننا رجال مخابرات ، نحمل أرواحنا على أكتفينا في كل خطوة نخطوها ، ومن النادر أن يصل أحدنا إلى سنّ التقاعد .

أدهشه أن جفّت دموعها على الفور ، وكأنما محتها كلماته محوًا ، وتسلّلت إلى صوتها نبرة قوية ، ممتلئة بالعزم ، وهي تسأله :

— أهذا الأمر مؤكد على نحو لا يقبل الشك يا سيدي ؟

هز كفيه ، وهو يقول في أنسى :

— تقرينا أيتها النقيب .. لقد كان لنا عميل آخر في فندق

(بافن) ، نطلق عليه اسم (عميل التغطية) ، ومهمته تقتصر

على إبلاغنا بكل التطورات ، التي تحدث للعميل الأصلي ..

ولقد أبلغنا هذا العميل بذهاب (أدهم) إلى (إلمير) ،

حيث شركة (هريك) ، ثم أبرق إلينا الآن يقول إن

الهلوكوبتر ، التي أقلت (أدهم) إلى (إلمير) ، قد

تحطمت .. وأن (ن - ١) قد لقي مصرعه في الحادث ،

وأن شركة (إدواردز) أبلغت إدارة الفندق بذلك ،

وباستعدادها لدفع أى تعويض و.....

قاطعته (منى) في لفة شديدة :

— إذن فهو لم يزر جثة (أدهم) بنفسه :

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يغمغم :

— عميل التغطية في (بافن) محل ثقتنا التامة أيتها النقيب .

هتفت في انفعال :

— الحير نفسه ليس محل ثقة يا سيدي .

تهنئ مدير المخابرات في عمق ، وهو يتطلع إليها ، وأنبأه

خده أنه الحب الذي يربط بين قلبي (أدهم) و (منى) ،

سيثير المشاكل كالعادة ، فقال في ضيق :

— ماذا تستهدفين بالضبط أيتها النقيب ؟

لوححت بذراعها في حماس ، وهي تقول :

— أنت تعرف (أدهم) مثلما أعرفه أنا يا سيدي .. هل

تظن أنه ذلك الرجل ، الذي يلقى مصرعه في حادث

هليوكوبتر عادى ؟

مطأ المدير شفثيه ، وهو يغمغم :

— الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) يا سيدي .

هتفت في مزيد من الحماس :

— لست أنكر ذلك ، ولكننى أكاد أقسم إن (أدهم)

ما زال على قيد الحياة ، وإن حادث الهليوكوبتر ليس سوى

وسيلة لتعنه من العودة إلى (بافن) .

زفر مدير المخابرات ، وهو يسأها :

— وما دليلك على ذلك ؟

كادت تهتف بأن هذا ما أنبأها به قلبها ، إلا أنها أبقت في

اللحظة الأخيرة أن هذا التبرير لن يروق له ، فعقدت حاجبيها ،

وهي تقول في صرامة :



وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار على أدهم ..

— يمكنكى أن أثبت ذلك .
 سأها المدير فى ضجر :
 — كيف ؟

شدت قامتها ، واستجمعت شجاعتها ، وهى تقول فى حزم عنيد :
 — بأن أسافر على أوّل طائرة إلى (كندا) ياسيدى .

كان (أدهم) يشعر بإرهاق هائل ، حينما صوّب نحوه رجال (هنريك) الأربعة مسدساتهم ، إلا أن جسده (أدهم) كان يمتلك خاصية فريدة متميزة ، تفوق أقرانه من بنى البشر .. فلم يكده ذلك الجسد يشعر بالخطر ، حتى نفّض عن نفسه كل الإجهاد والإرهاق والتعب دفعة واحدة ، ودفع فى خلاياه نشاطاً قوياً عنيقاً ، وحيوية وطاقه لا حدّ لهما ..

وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار على (أدهم) ، كان هذا الأخير قد تحرك فى سرعة ، ودقّة ، ومهارة ..

ودار جذع (أدهم) نصف دؤرة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أطاحت بمسدس أحد الرجال الأربعة ، ثم غاص

بحسده إلى أسفل ، وانزلق على الأرضية المصقولة ، وهو يطلق رصاصته الثانية ، التي أحاطت بمسدس الرجل الثاني ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها رصاصتا الرجلين الآخرين ، فمرقت الأولى فوق رأس (أدهم) ، واحتكّت بأطراف شعره ، في حين أصابت الأخرى الأرض ، على بعد خطوة واحدة منه ، وغاصت في أخشابها المصقولة اللامعة ، قبل أن يقفز (أدهم) واقفاً على قدميه ، ويطلق رصاصة ثالثة ، أطاحت بمسدس ثالث ، ثم يميل جانباً ، ويطلق الرصاصة الرابعة ، التي أفقدت الرجل الرابع والأخير سلاحه ..

ونهبض (هنريك) من مقعده في حركة حاذئة ، وهو يهتف في خليط من الدهشة والسخط :

— يا للشيطان !!

واتسعت عينا (فون دريك) في دُعر ، وهو يتراجع إلى الخلف ، في حين صُوب (أدهم) مسدسه إلى الجميع ، وهو يقول في صرامة ، تمتزج بسخريته المميّزة :

— معذرة أيها الوغد الزعيم .. يبدو أن ذاكرتي ضعيفة بعض الشيء .. يتم كنت تأمر رجالك منذ لحظات ؟

عقد (هنريك) حاجبيه ، وهو ينحنى ، قائلاً في غضب وصرامة :

— ذغني أذكرك بامستر (أدهم) .. لقد أمرتهم بقتلك ، وما زال هذا الأمر ساريًا ، خاصة وأن ذلك النوع من المسدسات ، المصنوعة من البلاستيك ، يحوى عينا بالغ الخطورة ، وهو أن خزائنه لاتسع إلا خمس رصاصات فحسب .. ولو أن ذاكرتك الضعيفة أسعفتك ، فستجد أنك قد أطلقت واحدة من هذه الرصاصات الخمس على مسدس (فون دريك) ، ثم أطلقت الرصاصات الأربع الأخرى منذ لحظات ، وهذا يعني أن سلاحك الأنيق هذا لم يغد سوى قطعة من البلاستيك ، يمكننا أن نحفظ بها في إناء زجاجي ، كذاكري لمصرعك .

كان من الواضح أن (هنريك إدوارد) لا يتميز بالفضول والحرص فحسب ، وإنما بقوة الملاحظة ، وسرعة البديهة ، والأعصاب القويّة أيضًا .. ولقد كان من الواضح أن هذا يملؤه بالزهو .. فلم يكذبهم حديثه السابق حتى اعتدل في اعتزاز ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مزهوّة ، وهو يستطرد :

— ولتعلم أيضًا أن رجالى الأربعة ، الذين هم طاقم

٧ - الهروب من الجحيم ..

تعلن شركة مصر للطيران عن قيام رحلتها رقم تسعمائة وخمسة، المتجهة إلى (كندا) ، فعلى السادة الركاب سرعة التوجه إلى

لم تنتظر (منى) لتسمع باقى النداء ، بل حملت حقيبتها الصغيرة ، وأسعدت الخطأ نحو الحافلة الخاصة ، التى ثقل المسافرين إلى الطائرة ، فى حين عادت المضيئة الأرضية تكرر النداء بلغات مختلفة .. وقصرت (منى) داخل الحافلة ، واتخذت أول مقاعدها ، إلى جوار بابها ، وكأنها تتعجل الانطلاق إلى الطائرة .. ولم تكد تستقر على مقعدها حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، فقد بدا لها جسم ضخم ، بالغ البدانة ، يجاهد لدفع كتل الشحم المحيطة به إلى داخل الحافلة ، وهو يمنحها ابتسامة وذود ، فهتفت فى دهشة :

— (قدرى)؟! .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ألقى (قدرى) جسده على المقعد المجاور لها ، فحجب جسدها كله ببدانته ، وهو يلتفت إليها قائلاً فى مرح :

حراستى الخاص ، قد تلقوا تدريبات عالية مكثفة ، شديدة القسوة ، حتى باتت عظام قبضاتهم أشبه بالرصاص ، كما أن كلاً منهم حاصل على الحزام الأحمر فى رياضتى (الكاراتيه) و (الجودو) ، وهى كما تعلم مرتبة رفيعة فى عالم الرياضات القتالية .. هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا مستر (أدهم) ؟

كان يلقي سؤاله الساخر الأخير فى نفس اللحظة ، التى تحرك فيها الرجال الأربعة بأجسادهم الضخمة ، وعضلاتهم المفتولة ، والشراسة المرتسمة على وجوههم ، نحو (أدهم) ، الذى قفز فى ذهنه السؤال نفسه :

— هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا (أدهم) ؟ ..

واستطلع عقله رأى عضلاته المنهكة ، وجسده المجهد ، ثم جاءت الإجابة مُفزعة مقلقة :

— كلاً .. لن يمكنك ذلك ، فى ظل هذه الظروف .

وفى نفس اللحظة التى جاء فيها الجواب ، انقضت الوحوش الأربعة على (رجل المستحيل) ..

— إنك تحتاجين إلى رفيق في هذه الرحلة الطويلة .. أليس كذلك ؟

لم تضحك لِدُعائه هذه المرة ، وإنما عقدت حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— ما الذى جاء بك ؟

لُوح بكفه وهو يمسس في ضراعة :

— زُوَيْدِكَ يا عزيزتى (منى) .. إنها مهمة رسمية .

رفعت حاجبها في دهشة ، وهي تهتف :

— مهمة رسمية ؟!

ابتسم وهو يمسس مغفمًا :

— لا داعى لأن يعرف كل المسافرين هذا يا عزيزتى .

امتقع وجهها بغتة مع عبارته ، التى ذكّرتها بعبارات

(أدهم) التقليدية ، وغمغمت في شحوب :

— هل لى أن أفهم ما الذى يُغنيه ذلك ؟

ابتسم ، وهو يقول في مرح :

— لقد كنت شديدة العناد والإصرار على السفر إلى

(كندا) ، حسبما أخبرنى المدير .. ولقد نجحت في بذر بذور

الثُكِّ في أعماقه ، خاصةً وأنا نؤمن جميعًا بأن

(أدهم صبرى) ليس بالرجل الذى ييزمه حادث هليوكوبتر .

فقد كان خليقًا به أن يقفز من الهليوكولتر قبل لحظات من

سقوطها .. ولقد رأى المدير أن موقفك يجعل الأمر أشبه بناد

اجتماعى ، منه إلى جهاز مخابرات قوى ، فما كان منه إلا أن

حوّل سفرك إلى (كندا) إلى مهمة رسمية ، وجعلنى أشاركك

إيّاها ، بناءً على طلبى .

تهدّدت في ارتياح ، وأسندت ظهرها إلى ظهر مقعدها ،

وهي تقول :

— إن هذا يسعدنى يا (قدرى) .

اختضى المرح من ملامحه فجأة ، وحلّت محلّها صرامة

شديدة ، وهو يقول :

— الشىء الوحيد القادر على منحى السعادة الآن

يا (منى) ، هو أن نجد (أدهم) على قيد الحياة وإلا أقسم أن

أبذل آخر قطرة من دمنى ، في سبيل الانتقام من قاتليه .

ثم أردف في حزم لم تمهده فيه من قبل :

— ولن أحتث بقسمى هذا أبدًا يا (منى) .

لو أن (أدهم) في حالته العادية ، بغير ذلك المجهود الهائل ،

الذى بذله لصعود الأستوانة الرّليقة ، ما ترؤد لحظة في أن يتهاجم الوحوش الأربعة ، وأن يذيقهم صلابة قبضته ، وقوة لكماته وركلاته ، ولأجبرهم على الركوع أمامه ، وإعلان هزيمتهم في ذلّ ومهانة ..

أما في وضعه هذا فقد كان الأمر يختلف ، وكان عليه أن يلجأ إلى الفرار ، على الرغم من كراهيته لمبدأ الهروب أمام أعدائه ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، وألقى مسدسه في وجه أحد الرجال الأربعة ، ولكم الثاني في معدته بكل ما يملك من قوة ، ثم أدار مقبض باب الحجره ، وفتحته وهو يركل الثاني في وجهه ، ثم قفز إلى الخارج وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وانطلق يغدو نحو مصعد (هنريك) الخاص ..

وصاح (هنريك) ، وهو يتابع الشاشات التليفزيونية ، التي تنقل إليه ما يفعله (أدهم) في الممر الخارجى :

— أسرعوا أيها الأغبياء .. إنه يحاول الفرار بواسطة مصعدى الخاص .. اقلوه قبل أن يفعل .. أسرعوا ..

التقط الرجال الأربعة مسدساتهم ، وأطلقوا رصاصاتها على رتاج الباب ، ثم دفعوه بأكتافهم ، واندفعوا إلى الممر في نفس اللحظة التي قفز فيها (أدهم) داخل المصعد الخاص ،

وضغط أزراره ليرتفع به إلى السطح ، فصاح (هنريك) في رجاله :

— أوقفوا المصعد .. امنعوه من الوصول إلى السطح ..

سمع (أدهم) النداء ، من خلال جهاز صوتى صغير داخل المصعد ، فأدار وجهه إلى آلة التصوير المثبتة في المصعد ، والتي تنقل إلى (هنريك) ما يدور داخله ، وهتف في سخرية :

— إذهب إلى الجحيم أيها الوغد ..

ثم حطّم (أدهم) عدسة آلة التصوير بقبضته ، مما جعل دماء الغضب تتصاعد إلى رأس (هنريك) ، وهو يصرخ :

— انسفوا المصعد .. أسقطوه .. المهم ألا يصل ذلك الرجل إلى السطح أبدا ..

وهنا خطرت لأحد رجاله فكرة شيطانية ، فأطلق رصاص مسدسه على أزرار المصعد الخارجية ، فحطمها ، ثم انتزع أسلاكها في عنف ، وأوصل السلكين ، الموجب والسالب ، فأطلقت الأسلاك شرارة قوية ، وخبثت الأضواء لحظة ، ثم توقّف المصعد دفعة واحدة ، في منتصف الطريق بين الطابق الثالث والسطح ..

ورأى (هنريك) ما حدث على شاشات أجهزته الراصدة .
فألقت عيناه في ظفر ، وصاح في شراسة :

— ستحصل على مكافأة سخية نظير براعتك أيا الرجل .
ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال ، الذي يوصله برجال أمن
شركته ، وصاح في لهجة أمرة صارمة :

— إنذار إلى الجميع .. يوجد جاسوس داخل الشركة ،
ولقد سجناه داخل المصعد .. اتجهوا جميعاً إلى السطح ،
وأطلقوا عليه قاذفات اللهب .. هل فهمم ؟ .. أريد أن يشوى
حيّاً .

* * *

لم يكذب رجال الأمن بتلقون هذا الأمر ، حتى تجلّت فيهم
فجأة روح المهارة والبراعة ، فقد تحركوا جميعاً على نحو بالغ
التظيم والتسيق ، كما لو أنهم أفراد جيش نظامي قوى ، تم
إعداده في عناية وإحكام ، فقد انقسموا فجأة إلى عدة
مجموعات ، قام بعضها بحراسة مداخل المكان ومخارجه
بمدافعهم الرشاشة ، وأسرع البعض الآخر يعزل مبنى الموظفين
عن مبنى (هنريك) الخاص ، في حين انطلقت المجموعة
الأخيرة ، وقوامها عشرة رجال ، إلى السطح ، فالتفت ثلاثة

منهم حول الهليكوبتر الرابضة على السطح ، يحرسونها في
إصرار ، في حين أحاط السبعة الباقون بمدخل المصعد ،
واندفع الثامن منهم ، يحملان قاذفتي لب ، ويفتحان باب
المصعد في سرعة ومهارة ، ثم اتجهت قُوّهتا قاذفتي اللهب إلى
المصعد الخاص ، المعلق في مكانه بين الطابق الثالث
والسطح ، وانطلقت السنة اللهب لتحوّل المصعد إلى قطعة
من الجمجم ..

وارتفعت حرارة المصعد الخاص ، حتى وصلت جدرانه
إلى درجة الاحمرار ، واطمأن رجال الأمن إلى أنه من المستحيل
أن يبقى رجل على قيد الحياة وسط ذلك الأتون الملتهب ،
فأوقفوا قاذفتي اللهب ، واعتدل أحدهما ، وهو يقول في لهجة
عسكرية :

— تم تنفيذ المهمة ياسيدي .. لا أحد يمكنه الفرار من هذا
الجمجم .

لم يكذب الرجل يوم عبارته ، حتى انطلق صوت ساخر ،
جمّد الدماء في عروق الجميع ، وهو يقول :

— إذن فأنا أذغى لا أحد .

وقبل أن يزول أثر المفاجأة ، اندفع (أدهم) من باب
المصعد المفتوح ..

حتى يمكننا أن ندرك ما حدث ، لابد لنا من العودة بالزمن
إلى خمس دقائق مضت ..
إلى تلك اللحظة ، التي أصدر فيها (هنريك) أوامره
لرجال الأمن ..

لقد استقبل الجهاز الصوتي الصغير ، المثبت داخل المصعد ،
نفس الأمر إلى (أدهم) ، بعد أن توقّف به المصعد ، ودون
أن يضيغ ثانية واحدة . أو حتى جزءاً من الثانية ، بدأ (أدهم)
تحركه ، فدفع فجوة الأمن في أعلى المصعد ، وقفز ليتعلّق
بخطتها ، ويصعد إلى أعلى المصعد ، ثم تعلّق بأسلاكه القوية ،
وأخذ يتسلقها في سرعة ومهارة ، حتى تجاوز مدخل المصعد
على سطح الشركة ، وتعلّق بالأسلاك في ذلك الفراغ الصغير ،
الذي يرتفع فوق المدخل ، والمعدّ لاستيعاب تلك الأجهزة ،
التي توضع فوق المصعد ؛ لتأمين حركته ..

وكم أدهشه أن نجحت عضلاته المنهكة في ذلك ، إلا أنه ألقى
تلك الدهشة خلف ظهره . وظلّ متشبّثاً بالأسلاك ، وهو
يضم ركبتيه إلى صدره في مرونة ، حتى يختفي جسده تماماً في

ذلك الفراغ الضيق ، حتى رأى رجل الأمن وهما يفتحان باب
المصعد ، ويطلقان قاذفتي اللهب نحو المصعد ..

وسرت في جسده قشعريرة ، وهو يتصوّر المصير الذي كان
يبتظره ، لو أنه بقي داخل المصعد ، الذي تحوّل إلى كتلة من الجحيم ..
وعلى الرغم من أنه كان يعلو كتلة اللهب هذه بما يقرب من
عشرة أمتار ، إلا أنه شعر بحرارة شديدة من أثر قاذفتي
اللهب ، حتى أنه تصبّب عرقاً في غزارة ، برغم برودة الطقس
في الخارج ، حتى أوقف رجلاً الأمن إطلاق النيران ، وسمع
أحدهما يعلن انتهاء المهمة ونجاحها ..

وهناك أدرك أن لحظة الهجوم قد حانت ..
وقد كان ..

وفي براعة ومرونة وجرأة ، تعلّق (أدهم) بمحاذير باب
المصعد ، وقفز إلى السطح ، وسطر رجال الأمن العشرة ،
وهو ينطق عبارته السالفة الذكر ، وتحركت قبضته في سرعة
وقوة ، لتبوء على فلك أحد الرجلين ، اللذين يسكان قاذفتي
اللهب ، ثم التقط قاذفة اللهب في مهارة ، وهو يركل الرجل
الأخرين ساقيه .. وقبل أن ترتفع قوّهات المدافع الرشاشة في
وجهه ، كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..

وتحوّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقي ..

٨ - في سماء المعركة ..

نقلت آلات التصوير التي تملأ السطح ، ذلك المشهد إلى (هنريك) و (فون دريك) ، فشحب وجه الأخير في ذهول ، واحتقن وجه الأزل ، وهو يحدق في شاشة الرصد ، هاتفاً :
- مستحيل !!

وسرعان ما امتلأت عيناه بذهول جارف ، عندما رأى النيران تشتعل في ثياب خمسة من رجال الأمن العشرة ، فيلقون أسلحتهم ، ويركضون في كل مكان ، وهم يصرخون ويتقاذرون في دُعر وألم هائلين ، ورأى الرجلين ، اللذين كانا يحملان قاذفي اللهب ، فاقدى الوعي تحت قدمي (أدهم) ، والرجال الثلاثة الباقين ، الذين كانوا يحيطون بالهليوكوبتر ، وهم يتخلّون عنها ، ويستديرون ليطلقوا رصاصات مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) ، الذي تهاذى الطلقات المنهمرة عليه كالمطر بقفزة مذهلة ، ودار بجسده دورة رأسية في الهواء ، ثم هبط على قدميه ، وألقى قاذفة اللهب في وجه الرجال الثلاثة ، ثم انحنى في سرعة مذهشة ، والتقط مدفعاً رشاشاً ، من تلك المدافع التي تخلّى عنها



كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..
وتحوّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقي ..

— باللشيطان !!.. لقد نجح في الاستيلاء على الهليوكوبتر ،
التي تحمل مدفعين رشاشين .

عقد (هنريك) حاجبيه في غضب وصرامة ، وضغط زرَّ
جهاز الاتصال ، وهو يقول في حَنَق :

— لدينا أخريات بصواريخ مضادَّة للطائرات .

ثم هتف غبْرَ جهاز الاتصال :

— إلى القوات الجوية المحاربة .. لقد استولى الجاسوس
على الهليوكوبتر (زد ٣) .. أطلقوا خلفه خمس طائرات
هليوكوبتر من طراز (إكس ١٨) .. أريد ألا يبقى منه
ما يكفي لملء علبه ثقاب صغيرة .. أطلقوا صواريخكم في
سخاء .. المهم ألا يغادر ذلك الشيطان حدود (إسمير)
أبدًا .. أبدًا .

* * *

لم تكن مغادرة (إسمير) ضمن لحظة (أدهم) في
الواقع ، فهو لم يعتمد إلى الاستيلاء على الهليوكوبتر ، والإقلاع
بها ، للفرار من ساحة المعركة ، وإنما كان ذلك كسوع من
المقامرة المدروسة ، تستهدف إقناع الجميع بفراره ، حتى
يمكنه العودة ، وقلب الأمور على رأس (هنريك) ورجاله ..

الرجال الخمسة ، بعد أن اشتعلت النيران في ثيابهم ، وفي
مهارة منقطعة النظر ، أطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو
الرجال الثلاثة ..

وامتقع وجه (هنريك) ، وسقط (فون دريك) على
أقرب مقعد ، حينما أصابت رصاصات (أدهم) مدافع
الرجال الثلاثة ، وأطاحت بها ، دون أن تمس أصحابها بخدش
واحد ، وسمع الاثنان صوت (أدهم) ، غبْرَ الأجهزة الناقلة
للصوت ، وهو يقول في صوت صارم ، موجَّهًا حديثه إلى
الرجال الثلاثة ، ومشيرًا إلى الهليوكوبتر :

— ابتعدوا عن هذا الشيء .

أطاع الرجال الثلاثة الأمر في سرعة ، وأدرك (هنريك)
مقصده على الفور ، فقفز من مقعده ، وهو يهتف في غضب :
— كلاً .. ليس الهليوكوبتر .. ليس الهليوكوبتر .

ولكنه لم يكذب عبارته ، حتى كان (أدهم) قد قفز إلى
الهليوكوبتر ، وأدار محرَّكاتها ، فدارت مروحتها في قوَّة ،
وارتفعت عن السطح ، وسقطت فكَّ (هنريك) السُّفلى في
مزيج من السخط والذهول ، وهو يراقب الإقلاع الرائع ،
الذي قام به (أدهم) ، في حين هتف (فون دريك) في دُعر :

ولقد أدهشه أن هليوكوبتر كانت مزودة بمدفعين رشاشين .
مما لا يتفق مع هليوكوبتر تابعة لشركة مصايد قطبية ، حتى
ولو كان صاحبها يعمل في مجال الجاسوسية الخاصة ؛ لذا فقد
أذهله لثانية أن تنطلق لمطارده خمس طائرات هليوكوبتر ،
مزودة بالصواريخ ، من ذلك الطراز الذي لا يتواجد عادة
إلا في الجيوش القوية ..

ولكن ذهوله تلاشى في سرعة ، وتوازي خلف صرامته
وإصراره ، حينما أدرك أن الموقف قد تحوّل — لسبب ما — إلى
معركة حقيقية .. أو إلى حرب في سماء المعركة ..

ولقد وجدها (أدهم) فرصة لإثبات مهارته ، وتلقين
هؤلاء الأوغاد درساً .. وبدلاً من أن ينطلق هارباً ، استدار
بالهليوكوبتر ليواجه مطارديه ، على الرغم من ثقته بأن كل
هليوكوبتر تطارده ، تملك استعداداً حريئاً يجعل مواجهته لها
أشبه بمواجهة فأر صغير لتير مفتوس ..

ولقد أدهشت مبادرته قائد الطائرات الخمس ، إلا أنهم
— وبإتقان عجيب — أطلقوا نحوه صواريخهم في آن واحد ،
وانجهدت الصواريخ الخمسة نحو هليوكوبتر (أدهم) ، وكل
منها يحمل هدفاً واحداً ..
القتل ..

لو أننا سألنا قائد القوّات الجوية المصرية ، احتمالات
النجاة ، حينما تواجه هليوكوبتر من نوع (زد ٣) ، خمس من
طراز (إكس ١٨) ، لقط شفتيه في أسف ، وأجاب في ثقة :
— احتمال النجاة في مثل هذه الحالة يقل عن النصف في المائة .
ولو أننا أضفنا أن قائد الـ (زد ٣) هو المقدم (أدهم
صبرى) ، فستألق نظرة مُفعممة بالإعجاب في عيني قائد
القوّات المصرية ، وهو يتسم ابتسامة واسعة ، ويقول بمزيد
من الثقة :

— في هذه الحالة أيضاً لن تزيد احتمالات النجاة عن
النصف في المائة ، وسيكون من المؤسف أن يفقد خمسة من
قائدي الهليوكوبتر (إكس ١٨) وظائفهم .

فلقد أشرف قائد القوّات الجوية بنفسه على تدريب
(أدهم) ، وهو يعلم مدى كفاءته في هذا المجال ..

ولقد أثبت (أدهم) هذه الكفاءة بالفعل ، حينما انحرف
بالهليوكوبتر فجأة ، وصعد بها إلى أعلى في وضع عمودي ،
متجاوزاً الصواريخ الخمسة ، التي انفجرت بدوي هائل وسط
الثلوج ، ثم انقضت على طائرات الهليوكوبتر المطاردة ، وهو
يمطرها برصاصات المدفعين الرشاشين ، المثبتين في طائرته ..

وحطمت رصاصات مروحة هليكوبتر الأولى ، وراها
تهوى إلى أسفل ، وهى تدور حول نفسها على نحو بالغ
الخطورة ، فى حين مرق هو بين الطائرات الأربع الأخرى ،
وصنع باختراعه صفوفها موجة من التخلخل ، أخلت بتوازن
طائرة أخرى ، فدارت حول نفسها بدورها ، وكادت تهوى
لتلحق بزميلتها ، لولا مهارة قائدها ..

واستدارت الطائرات الأربع لتواجه خصمها ، وقد أدرك
قائدتها أنهم يواجهون مقاتلاً لا يستهان به ، ولكنهم رأوا
هليكوبتر (أدهم) ترتفع فى سرعة نحو السحب الباردة ،
التي تحجب السماء ، فعقد أحدهم حاجبيه ، وهو يغمغم فى
دهشة :

— ماذا يفعل ذلك الأحمق ؟ .. أظن أنه يقود (فانقوم)
جديدة ؟

ثم اندفعت الطائرات الأربع خلف (أدهم) ، الذى
اخترق بالهليكوبتر السحب الباردة ، واختفى بينها ، حتى
أثار خيرة قائدى الطائرات الأربع ، التى أخذت تدور حول
السحب فى قلق وحذر ، وقال أحدهم لرفاقه ، غبر أجهزة
اللاسلكى :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟ .. هل ذاب وسط
السحب ؟

كان يتوقع أن يشاركه رفاقه خبرته وتساؤله ، إلا أنه فوجئ
بأحدهم يصرخ غبر جهاز اللاسلكى :

— احترس .. إنه خلفك ..

وقبل أن يلتفت ، أو يستدير بطائرته ، انهالت عليه
رصاصات هليكوبتر (أدهم) كالطر ، وأعطبت مروحة ،
وثقت خزأن وقوده ، فهوت طائرته قبل أن يفيق من ذهوله ،
وهى ترسل خلفها خيطاً من الدخان الأسود الكثيف ..

وأطلقت الطائرات الثلاث الباقية صواريخها نحو
(أدهم) ، الذى انخرق بالهليكوبتر فى سرعة وبراعة ،
وارتفع بها ليختفى وسط السحب مرة أخرى ، فهتف أحد
قادة الهليكوبترات الأخرى فى توتر :

— أى شيطان هذا ؟ .. إننى أشعر وكأننا نقاتل شبحاً !!
صاح آخر :

— فلنطلق الرصاصات وسط السحب ، لقد أمرنا الزعيم
ألا نذخر الذخيرة .

أطلق الثلاثة رصاصاتهم فى غزارة وسط السحب ، وقد

تملكهم القلق ، وملاً التوكر نفوسهم ، وكل منهم يتصور نفسه
الضحية التالية ..

وفجأة .. برزت هليوكوبتر (أدهم) من وسط
السحب ، كسمكة قرش مفترسة ، اخترقت البحر لتثيب
أنيابها في جسد ضحية جديدة ، وانطلقت رصاصاته تغمر
الطائرات الثلاث ، التي أخذتها المفاجأة ، فتلقت إحداها
سيلاً من الرصاصات ، حطم زجاجها الأمامي ، واستقر
بعضه في جسد قائدها ، فهوت من حالي ، وأطلق قائد الثانية
رصاصاته في دُغر ، فأصاب زجاج هليوكوبتر (أدهم) ،
وحطمه ، وأصاب إحدى رصاصاته كنف بطلنا ، ونفذت
منه مخلقة ثقباً دائماً ، وآلماً مبرحة .. وشعر (أدهم) بالهواء
البارد يرتطم بجسده ، وبأطرافه تتجمد ، وبأنفاسه تحتق على
الارتفاع الشديد ، وسط طقس تبلغ برودته الأربعين تحت
الصفر ، فهبط بالهليوكوبتر في سرعة ، قبل أن يلقي حتفه ،
ولحقت به الطائرتان الباقيتان في إصرار ، وهما تحطرانه
برصاصاتهما ، التي أصابت خزّان الوقود ، فزاد (أدهم)
من سرعة هبوطه ، محاولاً الوصول إلى ارتفاع معقول ، قبل أن
تتاله الرصاصات ، وهتف أحد قائدي الطائرتين في شراسة :

— لن تفر بعد ما فعلته .. لن تفر أبدا ..

ثم أطلق آخر صواريخ طائرته نحو هليوكوبتر (أدهم) ،
التي باتت على ارتفاع ثمانية أمتار فقط من سطح الأرض ..
وأصاب الصاروخ هدفه هذه المرة ..
وكان انفجاراً مروّعاً ..



٩ - ضائع وسط الثلوج ..

انفضت (منى) فجأة في أثناء نومها داخل الطائرة ، التي
تقلها مع (قدرى) إلى (كندا) ، واتسعت عيناها في دُغْر ،
وهي تصرخ :
- (أدهم) !!

التفت إليها (قدرى) في دهشة ، واستدارت إليها عيون
الركاب في خيرة وجزع واستكار ، وهرعت إليها مضيضة
الطائرة ، تسأها في جزع :
- ماذا هناك يا سيدى ؟

حدقت (منى) في وجه المضيضة لحظة ، ثم لوثت بكفها ،
وهي تتهد ، قائلة :

- لاشيء .. إنه مجرد كابوس فحسب .
منحتها المضيضة ابتسامة جنونا ، وهي تسأها في إشفاق :
- هل أحضر لك بعض الماء ، أو قرصا مهدئا .
ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهي تقول :
- كلا .. شكرا لك .. إننى في خير حال .



التفت إليها (قدرى) في دهشة ، واستدارت إليها عيون الركاب ..

منحتها المضيئة ابتسامة أخرى ، ثم انصرفت لثوبها ،
فالتفت (قدرى) إلى (منى) ، وسألها في توكلر :

— ماذا حدث ؟

زفرت في قوة ، قبل أن تجيبه :

— إنه كابوس حقًا يا (قدرى) .. كابوس بشع .
سألها في اهتمام :

— وماذا عن هتافك باسم (أدهم) ؟

زفرت مرة أخرى ، وهي تقول في صوت مضطرب :

— لقد كان الكابوس حول (أدهم) يا (قدرى) .. لقد
رأيتُه داخل هليوكوبتر تنفجر ، ويلقى حطفه داخلها .

هتف في صوت خافت :

— رحماك يا إلهي .. ما أبشعه من كابوس !!

أخذت تلهث كما لو أنها قد بذلت مجهودًا عظيمًا ، ووضعت
يدها على صدرها ، وكأنها تحاول تهدئة قلبها ، الذي يخفق في

عنف ، وهي تقول :

— ليته يقتصر على كونه كابوسًا يا (قدرى) .

مطأ شفتيه ، وهو يغمغم في قلق :

— وماذا يمكنه أن يكون غير ذلك ؟

أغلقت عينها ، تمنع دموعها من الانسكاب على خديها ،
وهي تقول في حزن انفطر له قلب (قدرى) :

— نبوءة يا (قدرى) ..

انفجرت هليوكوبتر (أدهم) انفجارًا هائلًا ، وتناثرت
شظاياها وسط سحابة هائلة من الثلوج ، استغرقت فترة
طويلة ، قبل أن تتساقط لتتضم إلى الثلوج ، التي تغمم المكان ،
وتدثر بقايا الهليوكوبتر المحطمة برداء أبيض بارد ، ويُسود
السكون ، إلا من صوت مروحي الطائرتين الباقيتين ، وهما
تُحومان حول الحطام ، قبل أن يتف قائد الهليوكوبتر ، التي
أطلقت الصاروخ القاتل ، في سعادة وظفر وجناس :

— لقد حطمته .. لقد نسفته نسفًا .

هتف زميله عبر جهاز اللاسلكي .

— لقد كنت رائفًا يارفيقي .. أهنتك .

ثم ضغط زر اللاسلكي ، الذي يوصله بمكتب (هنريك)
مباشرةً ، وهو يقول في لهجة رسمية :

— انتهت المهمة في نجاح .. تمت تصفية العدو ..

جاءه صوت (هنريك) غبر سعاة الجهاز ، مُفعمًا
بالانفعال والظفر ، وهو يقول :

— عد إلى هنا على الفور ، وقدم تقريرك .. إننى أنتظر .
غمغم الرجل :

— إننا فى طريق العودة .

ثم أغلق جهازه ، وقامت الطائرتان بدورة أخيرة حول
الحطام ، ثم انطلقتا نحو الشركة ، وتلاشى صوت مروحيهما
رويدًا رويدًا ، حتى لم يُعد هناك سوى الثلوج الممتدة ، وحطام
هليوكوبتر من طراز (زد ٣) ، كانت تحمل منذ قليل ضابط
الخبارات المصرى ، المعروف باسم (رجل المستحيل) ..

ضرب (هنريك) سطح مكبته بقبضته فى قوة ، وهو يتف
فى غضب :

— ثلاث طائرات؟! .. تفقدون ثلاث طائرات من طراز
(إكس ١٨) ، فى مواجهة مع هليوكوبتر واحدة من طراز
(زد ٣)؟! .. أى رجال أنتم؟! .. ماذا ستفعلون إذن ، حينما
تحين اللحظة الكبرى؟! ..

تبادل قائدا الطائرتين الناجيتين نظرات الاستياء ، ثم
غمغم أحدهما فى ضيق :

— لقد كان الرجل يقاتل فى مهارة منقطعة النظير
ياسيدى ، ولا ريب أنه

قاطعهم (هنريك) بصرخة غاضبة :

— إنه ماذا؟! .. مهما كان هذا الرجل ، فهو رجل واحد ،
وكان ينبغي أن تسقطوه من الضربة الأولى .

غمغم الطيار الآخر فى ضيق :

— لقد حاولنا ياسيدى .. ولكن

قاطعهم (هنريك) هذه المرة أيضًا ، صائحًا فى غضب :

— ولكن ماذا؟! .. إننى أكره الأعداء الواهية .. الحقيقة
الوحيدة فى هذا الأمر ، هى أنكم ما زلتم تحتاجون إلى مزيد من
التدريب ، قبل ساعة الصفر ، فعندما تحين اللحظة الكبرى ،
لن تجدى الأعداء .

تبادل قائدا هليوكوبتر نظرة الاستياء مرة أخرى ، وعادا
يقفان منتصبين ، قبل أن يلوح (هنريك) بكفه فى سخط ،
قائلًا فى صرامة :

— انصرفا ..

انصرف الاثنان فى حنق واضح ، فقد جاءا يتوقعان مكافأة
سخية ، فإذا بهما يتعرضان لتقريع عنيف ، ولم يكدا آخرهما

يفلق الباب خلفه حتى ضمَّ (فون دريك) راحته أمام وجهه ، وهو يقول ..

— رُوَيْدُكَ يا مِستِر (هنريك) ، كلانا يعلم أن هذا الرجل كان شيطاناً مريداً ، ومن حسن الحظ أن نجح الرجال في التخلص منه .

لَوْح (هنريك) بذراعه ، وهو يقول في سخط :

— بخسائر فادحة يا (فون دريك) .. إن قوتنا لم تبلغ بعد الحد الكافي لتحتمل مثل هذه الخسارة ، خاصة وأن نجاح المخابرات المصرية في كشف موقفتنا ، يغنى ضرورة التعجيل بساعة الصفر .

نهض (فون دريك) وهو يتسم ، ويقول في هدوء وثقة :

— اطمئن يا مِستِر (هنريك) ، لقد تخلصنا من أخطر ضابط مخابرات في العالم ، وسيسير كل شيء على ما يرام .. اطمئن .

لم يكده صوت مروحي طائرتي الهليكوبتر يتلاشى ، بعد دورتهما الأخيرة حول حطام هليكوبتر (أدهم) ، حتى بدت بقعة من الجليد ، الذي يغمر المكان ، وكأنها تبض

في بطنه ، ثم لم تلبث أن تحركت ، وبرز منها رجل تجمّدت أطرافه من شدة البرودة ..

رجل يُدعى (أدهم صبرى) ..

كانت بشرته قد اكسبت بلون أميل إلى الزرقة ، بعد أن بقى تحت غلاف من الثلوج لأكثر من ربع ساعة كاملة ، وكانت أطرافه ترتجف في قوة ، وأنفاسه تتردّد في صدره في صعوبة .. ولكنه كان على قيد الحياة ..

وهذا هو المهم ..

وأخذ (أدهم) يدلك أطرافه في قوة ، محاولاً التغلب على البرودة القارصة ، التي تسرى في جسده ، وتحسّس الدماء التي تجمّدت حول ثقبى الرصاصة أمام وخلف كتفه ، وقاوم الآلام التي تعزّب في جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يتجه في خطوات سريعة نحو حطام الهليكوبتر .. كان قد نجا من الموت المحقق هذه المرّة ، بتوفيق الله (سبحانه وتعالى) وحده .. فقد نجح في القفز من الهليكوبتر قبل لحظة واحدة من انفجارها ، وحجته سحب الثلج ، التي تالتت إثر الانفجار ، عن عيون قائدى الطائرتين المطاردين ،

١٠ - الطريق إلى الهدف ..

تفقد (أدهم) حطام الهليوكوبتر في عناية ، وقد قرّر الإفادة من كل قطعة مجدها وسطه ، ولقد شعر بارتياح كبير لأن كايبة القيادة لم تصحطم تمامًا ، فأسرع ينتزع الفراء الذي يكسو مقاعدها ، ومزق أطرافه في عناية ، ليصنع فجوة تكفي تمهيد رأسه وذراعيه ، بحيث حوّله إلى سترة من الفراء تقيه بعض البرد الشديد ، الذي يكاد يعصف بأطرافه ، واستغل جزءاً منه في صنع غلاف واقٍ ، أحاط به رأسه وأذنيه ، ثم انتزع بقايا المقاعد ، وكومها على بعد مترين من الحطام ، ثم التقط قذاحة الهليوكوبتر ، وأشعل النار في البقايا ، وجلس إلى جوارها يستمتع بدفء النيران ، حتى استعاد جسده حيويته ونشاطه ، وضمد جرح كفه بقطعة من بطانة المقاعد ، ثم اتجه إلى بقايا الكايبة ، وأخذ يفتشها في اهتمام بالغ ، وتألفت عيناه حيناً عثر داخلها على مسدس من طراز ألماني ، تحوى خزانته تسع رصاصات ، فدسّه في جيب سترته ، وابتسم في سخرية ، وهو يغمغم :

حتى غمرته الثلوج الناعمة ، وهو يستلقى على وجهه فوق الثلوج الصلبة ، واحتمل هو البرد القارس ، واحتمل جسده تلك الآلام التي يشعر بها ، حتى ابتعدت الطائرتان ..
ولقد بدا له هذا أشبه بالمعجزة ..

بل هو معجزة حقيقية ..

معجزة أراد له بها الله (سبحانه وتعالى) أنه ينجو ، وأن يواصل قتاله ضد هؤلاء الأوغاد ..

وعاد عقله يشعر بالدهشة لوجود هذه الطائرات الهليوكوبتر الحديثة ، في حوزة (هنريك إدوارد) ، وأنبأه هذا أن (هنريك) لا يسعى بمجرد إنشاء منظمة جاسوسية خاصة ، بل يسعى لهدف أكثر قوة وخطورة ..

هدف يحتاج إلى جيش حربي كامل ..

وعليه هو أن يُوقف ذلك ، وأن يبذل حياته لتحطيمه ، إذا ما قدر له أن ينجو ، والأبقى حتى مصرعه ضائعاً وسط جحيم من الثلوج ..

— أعدك بأن أحفظ لك برصاصة من هذه الرصاصات
التسع يا (هنريك إدوارد) .

ثم اتجه إلى المروحة المحطمة ، وانتزع قطعتين مسطحتين
منها ، وتأملهما لحظة ، ثم اتجه إلى الهليوكوبتر ، وبذل جهدا
لينتزع قائمى الكابينة السفليين ، وأسلاك البطارية ، ثم حمل
هذه الأشياء ، وعاد إلى قطعتى المروحة ، وأخذ يثبت القطعتين
أسفل جذائهما بواسطة الأسلاك ، حتى أحكم تثبيتهما ، والنقط
القائمين ، ونهض واقفاً ، ثم ابتسم وغمغم :
— أعتقد أن هذا يفى بالغرض .

كان قد أفاد بقطع حطام الهليوكوبتر ؛ ليصنع لنفسه
ما يشبه زلاجتى الجليد ، ولم يغد أمامه سوى أن يثبت مهارته
في التزلج على الجليد ..

ودفع (أدهم) القائمين في الثلوج الصلبة ، ثم انطلق
بزلاجتيه الصناعيتين نحو الهدف ..

نحو شركة (هنريك) ..

أو نحو نهايته ..

* * *

ساعة كاملة اندفع خلالها (أدهم) منزلقا فوق الثلوج ،

وسط برودة قارصة تحملها في بسالة نادرة ، حتى لاح له مبنى
الشركة ، مع مغيب الشمس ، وحلول الظلام ، وهبوط درجة
البرودة إلى الخمسين تحت الصفر ..

وتوقف (أدهم) خلف تبة للجبية قريبة ، وتخلص من
زلاجتيه الضخمتين ، وتجمدت أنفاسه وهو يراقب المبنى في
اهتمام وإمعان ، حتى تبين مدخلا واحدا ، دون أن يرى حارسا
واحدا حول المكان ..

وكان يعلم أن المنطقة كلها مراقبة بآلات التصوير
التليفزيونية ، التى تنقل إلى (هنريك) كل ما يحدث وما يدور
حول المكان ، وكان يعلم أن الوصول إلى مبنى الشركة يُغد
مستحيلا ، حتى مع حلول الظلام ..

ولكن عليه أن يصل إلى هناك ، مهما كان الثمن ..
وعقد حاجبيه وهو يفكر في عمق ، والبرودة من حوله
ترداد وتزداد ، وأطرافه تتجمد في وضع السكون الذى
يتخذه ، والبرد يكاد ينخر عظامه ، ويجمد الدماء في عروقه .
وفجأة .. تهللت أساريره ، وارتسم في ملامحه انفعال
غامض ، وهو يتسمم مغمغما :

— من حُسن الحظ أنك تراقب كل ما يحدث يا (هنريك) ،
وأنتك رجل شديد الحرص والحذر .

ثم أخرج مسدسه من جيبه ، ورفع فوهته إلى أعلى ، وأطلق
رصاصتين ، كان لهما ذوى القبلة وسط الظلام والسكون ..

كان (هنريك) يناقش بعض الأمور الهامة مع
(فون دريك) ، حينما نقلت إليه أجهزته ذوى الرصاصتين ،
فقفز من مقعده في دُعر ، والتفت إلى شاشات الرصد التي تملأ
مكتبه في قلق ، وهتف غيّر أجهزته الاتصال :

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه رئيس حراس المبنى في قلق مماثل :

— لست أدري أيها الزعيم .. لقد انطلقت رصاصتان في
الخارج ، ودرجة البرودة لا تسمح بوجود مخلوق واحد خارج
المبنى ، وكل رجالنا هنا ، والمصنع ومساكن العمال تبعد أكثر
من كيلومترين و

قاطعته (هنريك) في صرامة :

— أرسل خمسة رجال لتحرى الأمر ، وأريد تقريرهم فور

عودتهم .



وتوقف (أدهم) خلف قبة الثلجية قريبة ،
وتخلص من زلأجتيه الضمخمين ..

أجابه رئيس الحراس :

— كما تأمر أيها الزعيم .

استدار (هنريك) يراقب شاشات الرصد في قلق ، فسأله

(فون دريك) :

— ماذا تتوقع أيها الزعيم ؟

هز (هنريك) رأسه في خيرة ، وهو يغمغم في قلق :

— لست أدري .. إن أحدا لم يصل إلى الجزيرة ، سوى

ذلك الشيطان المصرى ، وأخشى أن يكون

قاطعه (فون دريك) ، وهو يتف في استكار :

— نجا؟! .. مستحيل يا مستر (هنريك) ، لا أحد ينجو

من صاروخ متفجر .

لم تخفف كلماته من قلق (هنريك) ، الذى غمغم في

خفوت :

— سأرسل رجلين في الصباح الباكر للبحث عن جسده ..

لن يبدأ لي بال حتى أرى بقاياها بعينى .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— إنك تبالغ في الحرص والحذر هذه المرة أيها الزعيم .

مط (هنريك) شففيه ، وهو يراقب شاشاته في قلق

واهتمام ، ويغمغم في توثر :

— ربما يا (فون دريك) .. ربما ..

ولكن عقله لم يبدأ أبدا ..

تبرم رجال الحراسة الخمسة ، وهم يغادرون مبنى الشركة

المكثف ، إلى الطقس الشديد البرودة في الخارج ، وقبض كل

منهم على مدفعه الرشاش في قوة ، وأنفاسهم تتجمد أمام

وجوههم ، وهم يتجهون إلى التبة التى ذوى عندها صوت

الرصاصتين ، وغمغم أحدهم في سخط :

— أراهنكم أنها مجرد فرقة جليد .. لقد سمعت صوتا

مشابها في الشتاء الماضى .

غمغم آخر في ضجر :

— أنت تعرف الزعيم .. إنه شديد الحرص والحذر ، وهو

يرى أن ذلك أحد مزاياه .

غمغم ثالث في سخرية مريرة :

— مزاياه؟! ..

ثم لم يزد أحدهم حرفا ، وهم ينقسمون إلى أفراد ،

ليدوروا حول التبة ، والثباب المجاورة ، وبدا الجميع وكأنهم

يؤذون عملا روتينيا بلا طائل ، والضجر يرسم على وجوههم

واضحاً ، وكل منهم يتمنى انتهاء الأمر في سرعة ، ليعود إلى
المبنى المكثف الهواء ، حيث ينعم بالذفء والراحة ..
وبينا كان أحدهم يدور حول تبة قرية ، سمع صوتاً هادئاً
يقول :

— مرحباً أيها الوغد .. إن ملامحك تبدو لي مألوفة .. هل
التقينا من قبل ؟

استدار الرجل في سرعة ، وصوب مدفعه الرشاش إلى
مصدر الصوت ، ولكن ملامحه تغيرت فجأة ، دون أن يكون
لانفعاله أدنى أثر على ذلك ، فالشيء الذي غير ملامحه كان
لكمة قوية ..

لكمة من قبضة (أدهم صبرى) ..

انتهى الحراس الخمسة من بحثهم بعد نصف ساعة ، بدت
لهم كدهر كامل ، وسط هذا الطقس ، ثم اتجه قائدهم إلى بقعة
خالية ، وهو يقول :

— الجميع إلى هنا .

اتجه الجميع إلى حيث يقف قائدهم ، وهذا للقائد أن
أحدهم أكثر طولاً من ذى قبل ، وأنه يريخى قبعة بأكثر من

اللازم ، إلا أن رغبته في العودة جعلته يتجاهل ذلك ، ويقول في
لهجة أمرية :

— هل من نتائج ؟

أجاب الجميع في سرعة ، صنعتها لهفتهم إلى العودة :

— النتائج سلبية ياسيدى .

أوماً الرجل برأسه موافقاً ، ثم استدار ، واتجه إلى مبنى
الشركة ، وهو يقول :

— حسناً .. هيا بنا نعود .

وتحرك الجميع في خطوات سريعة نحو المبنى ، الذي فُتح
أبوابه لاستقبالهم ، وسرى الذفء في أجسادهم ، حيناً أغلق
الباب خلفهم ، واتجه قائدهم ليدلى بتقريره (هنريك) ، في
حين اتجه الآخرون إلى أماكنهم ..

وفي هدوء انفصل أحدهم ، وغاب في مدخل جانبي ،
دون أن يلتفت إليه الآخرون ..

لقد كان (أدهم صبرى) ..

ولقد كان هذا المدخل الجانبي هو أوّل الطريق إلى
الهدف ..

الهدف القاتل ..

١١ - وكر الشياطين ..

تحرك (أدهم) داخل المكان في خطوات هادئة ، حتى لا يثير الشك ، أو يلتقط (هنريك) تحركاته المرئية غير آلات التصوير المنتشرة في كل مكان ، ولقد بلغت دهشته أوجها ، وهو يشاهد الآلات الحربية المنتشرة في كل مكان ..

كانت هناك أكوام من قنابل الدبابات ، وقذائف الطائرات ، والصواريخ المضادة للطائرات ، والمدافع ، وأعداد هائلة من المدافع الرشاشة ، والمسدسات ، وتلال من الرصاصات من كل الأعيرة والأحجام ..

كان المكان في واقع الأمر مصنفاً ضخماً للذخيرة الحية ، يكفي لتغذية جيش دولة عظمى .. وكان هذا يتفق مع مخاوف (أدهم) ، وشكوكه في أن هدف (هنريك) يفوق التجسس كثيراً ، ويتجاوز به إلى رغبة جنونية في القوة والسيطرة ، ولن يدهشه أن يكون هدف ذلك الجنون هو احتلال (كندا) كلها ، بل وربما يتجاوز ذلك إلى احتلال الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

ولكن كيف يتفق ذلك مع إرساله كل هذه الأعداد من الجواسيس إلى (مصر) ؟ ..

ما علاقة (مصر) باحتلال (كندا) أو الولايات المتحدة ؟ ..

كلًا .. هناك هدف جنوني يسعى إليه (هنريك) .. هدف يفوق أقصى ما يمكن أن يتخيله (أدهم) .. هدف قد يبلغ حد السيطرة الكاملة .. السيطرة على العالم أجمع ..

زاد هذا الكشف من حماس (أدهم) ، وإصراره على تدمير (هنريك) ومنظمته ، وجيشه الخاص كله ، فاتجه بخطوات ملؤها الإصرار والعزم نحو مصعد كبير ، واستقله لينتقل إلى الطابق العلوي ، الذي يحجبه سطح المبنى ، وتبين له أن هذا الطابق لا يحوى أية منافذ ، يمكنها أن تقوده إلى سطح المبنى الذي يحتكر (هنريك) استغلاله ، ولكن إصراره على الوصول إلى (هنريك) جعله يدلف إلى حجرة خالية ، تطل نافذتها على إفريز ضيق ، يتصل بفتحة التهوية الخاصة بمصعد (هنريك) الخاص ، وغادر الحجرة غير النافذة ، وتعلق بالإفريز

الضيق ، وتحرك نحو فتحة التهوية ، ثم طُرح بمجسده داخلها ،
وتعلق بمخافتها ، وألقى نظرة إلى أسفل ، حيث توقفت المصعد
الخاص في الطابق الثالث ، وتعلق بأسلاك المصعد ، وأخذ
يهبط إليه في سرعة ، حتى استقر على سطحه ، ووقف ساكنًا
بعض الوقت ، ثم فتح فجوة الأمان في سطح المصعد ، ودفع
فُوَّةَ مدفعه الرشاش في عدسة آلة التصوير ، فحطمتها بضربة
قوية سريعة ، وقفز داخل المصعد ..

وفي حجرة مكتب (هنريك) ، توقفت شاشة البث
الخاصة بالمصعد عن نقل الصور ، وكان هذا عليًا بأن يخفق
قلب (هنريك) ، ويصرخ هو في توكر وذعر ، إلا أنه من
العجيب أن (هنريك) اكتفى بالتلويح بكفه في هدوء ، وهو
يقول لـ (فون دريك) :

— مُر الرجال بتفقد المصعد .

غمغم (فون دريك) في قلق :

— ولكن

قاطعه (هنريك) في برود :

— الفعل ما أمرتك به .

ثم استرخى في مقعده ، وأشعل سيجارًا فاخرًا ، نفث
دخانها في هدوء ، مستطرًا :

— جاء ذوري لأقول لك : اطمئن يا (فون دريك)
إن كل شيء يسير على مايرام .. كل شيء .
اتجه الحراس الأربعة لتفقد المصعد ، طبقًا لأوامر
(هنريك) ، وشهر كل منهم مسدسه ، وضغط أحدهم على
زر باب المصعد ، فافتح الباب في هدوء ..
ولكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد ما يكون عن الهدوء ..
كان عاصفة ..

عاصفة اسمها (أدهم صبرى) ..

لم ينجح رجل واحد ، من الحراس الأربعة ، في إعطاء
وصف دقيق لما حدث ، بعد فتح باب المصعد الخاص ..
كل ما اتفق عليه الأربعة ، هو أن عاصفة من القبضات
والركلات قد اندفعت من المصعد ، وهوت على أنوفهم
وفكوكهم ومعداتهم في سرعة وتعاقب مذهلين ، وأن الظلام
قد ساد فجأة ، واكتف عقولهم وأجسادهم ، قبل أن يدرك
أحدهم ما حدث ، على الرغم من أنهم مؤهلون للقتال العنيف
المدروس ..

(أدهم) وحده كان يستطيع أن يعطى ذلك الوصف
الدقيق ، فهو الذي حطّم أنف الحارس الأول ، وهشم أسنان

الثاني ، وغاص بقبضته في معدة الثالث ، وهوى بلكمة على مؤخرة الرابع ، قبل أن يمنحهم الفرصة لمقاتلته ..

وهو الذي اندفع بالمدفع الرشاش ، الذي استولى عليه من الحارس ، الذي يتحل شخصيته ، غير المرء الزاخر بآلات التصوير ، متجاهلاً كؤن (هنريك) يراقب ما يحدث في هذه اللحظة ..

وهو الذي اقتحم حجرة (هنريك) كعاصفة هوجاء .. وهو — وهذا هو المهم — الذي أصيب بالدهشة ، حينما هاجمه فجأة أربعة رجال بين فيهم حراس (هنريك) الأربعة الخصوصيين ..

كان هجومًا مباغتًا ، لم ينتظره ، ولم يتوقعه ، ولكنه حاول أن يواجهه ، فهوى بكعب بندقيته على فك أقرب الرجال إليه ، ودفع قدمه في معدة الثاني ، ودار على غيبه ليواجه الثالث والرابع ، إلا أنه تلقى لكمة قوية في مؤخرة عنقه ، جعلته يترشح في قوة .. وقبل أن يستعيد توازنه ركل أحدهم مدفعه الرشاش ، وهوى آخر على رأسه بلكمة قوية ، فدار رأسه في عنف ، وتراقصت المشاهد أمام عينيه ، وحاول أن يقاوم ، ولكن لكمة أخيرة أنهت الصراع ، وألقته فاقد الوعي

وسط حجرة (هنريك إدوارد) ، الذي ضم راحتيه أمام وجهه ، وهو يقول متسمًا في ظفر وارتياح :

— إنه لا يتعلم بسرعة للأسف .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطرذا في هدوء :

— انقلوه إلى حجرة اختبارات التجميد .

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة شامته ، وهو يردف :

— لقد حصلنا على حيوان تجارب جديد ..

* * *

تلملت (منى) في مقعدها داخل الطائرة ، وزفرت على نحو نقل إلى (قدرى) ضيقها وضجرها ، فالتفت إليها يسألها في قلق :

— ماذا بك هذه المرة ؟

لؤحت بكفها ، وهي تقول في خنق :

— ألا توجد وسيلة أسرع للسفر إلى (كندا) ؟

ابتسم وهو يقول :

— ستوجد وسائل أكثر سرعة في المستقبل بالتأكيد ، أما الآن فالرحلة تستغرق عشرين ساعة على أقل تقدير ، ولم يُعد

أمامنا سوى خمس ساعات ، وبعدها سنحتاج إلى خمس ساعات
أخرى للوصول إلى (بافن) ، والله (سبحانه وتعالى) يعلم
متى نصل إلى (إسمير) .

زفرت مرة أخرى في ضيق ، وهي تقول في توغر :

— ونحن نتصور أننا نهرع بأقصى سرعة لمعاونة

(أدهم) ١٢

عقد حاجيه وهو يفهم :

— (أدهم) هو خير من يعاون نفسه يا (منى) ..

صدقيني .. إن وجودنا بالنسبة إلى (أدهم) لن يساوى أكثر
من حصة صغيرة نحاول مساندة جبل .

غممتم في صوت أقرب إلى البكاء :

— ولكن قلبي يشعر أنه في خطر يا (قدرى) .. خطر

هائل ..

أحاط الظلام بعقل (أدهم) طويلاً ..

ظلام دامس عميق ، ماله من قرار ..

ثم ظهر بصيص من الضوء وسط الظلام .. واتسع ..

واتسع .. حتى عاد ذهنه إلى وعيه دفعة واحدة ..

وشعر (أدهم) بصداع شديد ، وبآلام هائلة في عنقه
وكتفيه ، وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممدد فوق مائدة رخامية
باردة ، مكبل المعصمين والقدمين بقيود حديدية مثبتة
بالمائدة ، ففتح عينيه في بظء ، ليظلمه وجهها (هنريك)
و (فون دريك) ، بابتسامتهما الساخرتين الشامتين ، مما
جعل (أدهم) يتجاهل آلامه وأوجاعه ، ويرسم على شفاهه
ابتسامة ، أودعها أكبر قدر من السخرية وهو يقول :

— يا إلهي !! .. لم أكن أتصور أن أعمالي قد بلغت هذه

الدرجة من السوء ، إننى في الدرك الأسفل من الجحيم
ولا شك ، فأنا أرى وجهي أبشع وأقبح شيطانين في جهنم
كلها .

عقد (فون دريك) حاجيه ، واحتقن وجهه في غضب ،

في حين ابتسم (هنريك) في هدوء ، وهو يقول :

— يبدو أنك لا تفقد روحك المرححة أبداً يا مستر

(أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، جعلت (فون دريك)

يستشيط غضباً ، ويتف في سخط :

— ستدفع ثمن كل هذا أيها المتجحجج .. إننى سأ

قاطعه (هنريك) بإشارة صارمة من يده ، وواجه
(أدهم) ، قائلاً في هدوء :

— رانع يامستر (أدهم) .. إنك رجل نادر بحق .. إنك
مصاب برصاصة في كتفك ، اخترقته من الأمام ونفذت من
الخلف ، ولكنك — على الرغم من ذلك — أوقعت ثلاث
طائرات ، ونجحت في الوصول إلى هنا ، وخذعت رجال
حراسة المبنى ، وتسللت إليه بمخدعة ماهرة ، وفاتلت أربعة
رجال أشداء ، وهزمتهم في أقل من نصف الدقيقة .. إنك رجل
رانع بحق .

ثم مطّ شفتيه ، ورفع سبّابه أمام وجهه ، وهو يستدرك :
— ولكنك لا تتعلم بسرعة .

وتهدّ قبل أن يردف في هدوء :

— لقد تصرّفت بحكمة وذكاء ، حتى وصلت إلى المبنى ،
وبعدها اتجهت بلا مبرر إلى مخازن الذخيرة ، وأخذت تتأمل
محتوياتها في دهشة واضحة ، جعلتني أرتاب في أمرك ، وأنا
أشاهدك على إحدى شاشاتي الرابدة ، فتابعتك وأنت تصعد
إلى الطابق العلوي ، وتعبّر النافذة .. ولقد كان من السهل أن
أتوقع أنك ستسأل عن فتح التهوية لمصنّعي الخاص ، ولقد
سار كل شيء كما توقّعت تماماً .



وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممّدد فوق مائدة رخامية
باردة ، مكبل المعصمين والقدمين ..

ثم ابتسم في زَهْوٍ ، وهو يواصل :

— وقبل أن يتناكب الفخر ، وأنت تصوّر أنك قد هزمت
حرّاسي الأربعة ، ينبغي أن تعلم أن هؤلاء الرجال الأربعة ،
الذين حطّمتهم بقبضتيك وقدميك لم يكونوا رجال حراستي
الخصوصيين ، بل مجرد أربعة حرّاس عاديين .. فمهما بلغت
براعتك ، لن يمكنك هزيمة أربعة رجال في قوة ومهارة حرّاسي
الخصوصيين يا مستر (أدهم) .. ولكنك — وعلى الرغم من
ذلك — أثرت إعجابي بشدّة ، مما دفعني لطلب المزيد من
المعلومات عنك ، من (الموساد) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

— هل تنتمي إلى (الموساد) ؟!

هتف (هنريك) في استكثار :

— (الموساد) ؟! .. كلاً بالطبع .

وعادت إليه ابتسامته ، وهو يستطرد :

— إن هدف دولة (الموساد) هو : « من التّيسل إلى

الفرات » ، كما يقولون دائماً ، على الرغم من ثقتي باستحالة
نجاحهم في تحقيق هذا الهدف ، إلا أنني أراه هدفاً شديد
التواضع ، فهدي أنا يتجاوزه كثيراً ..

وبرقت عيناه على نحو أقرب إلى الجنون ، وهو يرفع
هامته ، ويقول في فخر :

— هدي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يا مستر
(أدهم) .. من شرقيّ (روسيا) وإلى غربيّ الولايات
المتحدة ..

ثم مال نحو (أدهم) ، وهو يردف في انفعال حماسي
قويّ :

— إن هدي هو احتلال العالم .. العالم كله يا مستر
(أدهم) .



مصت دقيقة كاملة و (أدهم) يحدق في وجه (هنريك)
في دهشة بالغة ..

كان ما نطق به (هنريك) هو نفسه ما فكّر فيه (أدهم) ،
إلا أن الحقيقة أدهشته ..

وفجأة .. وجد (أدهم) نفسه يتف في سخط :

— يالك من مجنون !!

برقت عينا (هنريك) في وحشية ، وصاح وهو يلوّح بذراعيه

في قوة :

— مجنون؟! ..! مجنون لأننى أسعى لتحقيق حلم زعماء

البشرية منذ الخليقة؟! .. سترى ما الذى سيفعله هذا المجنون أيا

المصرى .. سترى كيف سأصبح يوماً إمبراطور كوكب الأرض .

هتف (أدهم) في جِدَّة :

— إمبراطور كوكب الأرض؟! .. بل قُلْ إمبراطور الحمقى

والمجانين! .. إن السيطرة على العالم أجمع حلم بعيد المتال أيا

الوغد .. لقد فشل عظماء قبلك ، لأنهم فكّروا في هذا ..

حاول أن تقلّب صفحات التاريخ ، وستجد أنك لست أول من

يتشابه هذا النوع من الجنون ، لقد سبقك إليه

(الإسكندر الأكبر) ، و (نابليون بونابرت) ،

و (أدولف هتلر) ، و

اندفع (فون دريك) يتف في غضب :

— لم يكن (أدولف هتلر) مجنوناً .. لقد كان عبقرياً ..

كان أعظم زعيم سياسى في العالم .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا واضح أيا الألمانى .. وأبرز أمثلة وضوحه هو

انتحار عبقرى هذا ، بعد أن حطّم اقتصاد دولته وجيشها

بجلمه الجنون .

همّ (فون دريك) بالاستكار الغاضب مرّة أخرى ،

ولكن (هنريك) اندفع بقول في جِدَّة :

— فليكن (هتلر) عبقرياً أو مجنوناً ، وليذهب إلى الجحيم

سواء كان هذا أو ذاك .. إننى لست (أدولف هتلر) ،

ولست (نابليون بونابرت) .. إننى (هنريك إدوارد) ،

وسأصبح عن قريب سيّد هذا العالم .

هتف (أدهم) في خنق :

— وكيف تنوى أن تحقق هدفك أيها الإمبراطور المجنون ؟
زفر (هنريك) في قوة ، واستعاد هدوءه فجأة ، وهو
يعتدل قائلاً :

— نعم .. هذا هو السؤال الصحيح .
وبدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وفي نبراته ، وهو
يستطرد :

— إن العالم الآن على حافة بركان أيها المصري ..
(روسيا) و (أمريكا) تتربص كل منهما بالأخرى ..
(إسرائيل) تتحرش بالدول العربية في الشرق الأوسط ..
(آسيا) تلتهب بصراعات داخلية .. و (إفريقيا) تحارب
الفرقة العنصرية .. و (أوروبا) تلتهب بصراعات طائفية
وانهاريات اقتصادية ، و (أمريكا الجنوبية) تشتعل
بالانقلابات التي لا تهدأ ولا تستقر .. انظر إلى العالم كله ،
تجده يتناحر ويتصارع ، فيما عدا هنا .. في (كندا) ، على
مشارف القطب الشمالي .. ومن هنا .. من الجهة التي
لا يتوقعها أحد ، سيبدأ غزو العالم .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .

تجاهل (هنريك) هذا التعليق ، وهو يستطرد في نشوة :
— لن يمكنك أن تتصور عدد الجواسيس التابعين لي ، في
كل الدول ذات المواقع الحيوية ، والاستراتيجية في كل أنحاء
العالم .. حتى أنا أعجز عن معرفتهم ، لولا أنني أحفظ بكل
المعلومات عنهم في أسطوانة كمبيوتر رقيقة ، داخل مخبر سرى
في حجرى .. يكفي أن تعلم أن مرتباتهم الشهرية تكلفني عشرة
ملايين دولار .. هل يمنحك هذا فكرة عن عددهم ؟ .. إن
مهمة هؤلاء الجواسيس هي جمع أكبر قدر من المعلومات عن
تلك الدول ، واستغلال نقاط الضعف والخطأ في أنظمتها
وحكوماتها ، وتأهيل شعوبها لإشعال الفتن والثورات ، حينما
تحين ساعة الصفر .

وأطلق ضحكة شيطانية جنونية ، قبل أن يردف في
انفعال :

— وفجأة .. وفي ساعة أحددها أنا ، مستشعل الثورات في
كل الدول الكبرى ، وستلثم النيران أمنها الداخلي ، وفي نفس
اللحظة ستبعث الشرارة من هنا .. من (إسمير) ، وسأشن
الحرب على كل النظم والدول ، في الوقت الذي يعجزون فيه
عن قتالي ، وصد هجومي ، ولن يمضي وقت طويل حتى
يستسلم الجميع ، وأصبح أن إمبراطور العالم ..

مط (أدهم) شغفيه ، وهو يقول في ازدراء :

— أسخف وأتفه لحظة سمعتها في حياقي كلها .. إن لحطنتك
لا تصلح لاحتلال قرية صغيرة في دولة من دول العالم الثالث .
صرخ (هنريك) في غضب :

— سترى .

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول في شماتة :

— كلاً .. إنك لن ترى .. لن تكون هنا لترى .

وأشار إلى الحجرة التي يقف فيها ، وهو يقول :

— هل تعرف ماهي هذه الحجرة يا مستر (أدهم) ؟ ..

إننا نطلق عليها اسم حجرة اختبارات التجميد ، وهنا يتم تجميد
أسماكنا قبل تصديرها ، ونحن نستخدم لهذا غاز النيتروجين
السائل ، بحيث يتم التجميد خلال دقيقة واحدة .

واعتنى نحو (أدهم) ، وهو يردف في سخرية :

— هل سبق لك أن رأيت سمكة قطبية مجمدة يا مستر

(أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— إنها ستبدو أجهل منك بالتأكيد .

مط (هنريك) شغفيه ، واعتدل قائلاً :

— إنك لا تصلح للتفاهم يا مستر (أدهم) .

ثم لَوَّح بذراعه ، قائلاً في انفعال :

— أراهن أنك ستبدو أكثر وسامة داخل قالب من الثلج

يا مستر (أدهم) .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يسأله :

— إلى أين تحب أن نصدرك يا مستر (أدهم) ، بعد

تجميدك .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول في بُرود :

— اطمئن أيها الوغد .. إنك لن تجد الفرصة لذلك .

عقد (هنريك) حاجبيه في غضب ، وأشار إلى رجاله قائلاً

في صرامة :

— فليغادر الجميع حجرة التجميد ، وليستعد الفنيون

لإجراء عملية تجميد خاصة .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال في برود شديد :

— الوداع يا مستر (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وشاهد الجميع يغادرون

حجرة التجميد ، ويفلقونها خلفهم في إحكام ، وبداله جَوْها

شديد البرودة ، ولحبل إليه أنه يرى الموت وهو يزحف نحوه ،
في رداء للجيّ ..
رداء تحت الصفر ..

(نهاية الجزء الأول ، وبليه الجزء الثاني)

[الجليد المشتعل]

رقم الإيداع : ٣٦١٩